

فلسطين .. الأرض والقضية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الأقصى

((9))

26 جمادي الأول 1431 هـ الموافق 10 مايو 2010 م

في ذكرى النكبة ال 62

((2))

قضية فلسطين

بين التأسيس الإسلامي والتأصيلات الأخرى

مقدمة

يدّعي اليهود بأنّ لهم حقاً تاريخياً في فلسطين وأنها أرض الميعاد التي أعطاه الله لهم، وليس من شك بأنّ أمتنا تعتبر فلسطين أرضاً لها، فما السند الذي نستند إليه في إقرار حقنا في فلسطين؟ وبماذا نرد على ادّعاءات اليهود؟ ولقد تناولت حقنا في فلسطين تأصيلات متعددة على مدار القرن الماضي حسب الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة، منها: التأسيس القومي، والتأصيل الشيوعي، والتأصيل الوطني، ونحن سنستعرض هذه التأصيلات في البداية، ثم سنوضح التأصيل الإسلامي، ومن خلاله سنرد على ادعاءات اليهود حول حقهم في فلسطين.

التأصيل القومي:

اعتبر التأصيل القومي أنّ أرض فلسطين أرض للأمة العربية، والفكر القومي العربي يعتبر أنّ الأمة تقوم على عنصري اللغة والتاريخ ويستنتي الدين من تشكيل أية أمة، وهذا يختلف بل يتناقض مع الواقع الموضوعي الذي يؤكد بأنّ الدين الإسلامي عامل رئيس وهام في تشكيل الأمة الموجودة في عالمنا العربي والتي عُرفت باسم الأمة الإسلامية، فالدين الإسلامي هو الذي وحدّ شعوب العالم العربي التي احتوت أجناساً متعددة مثل العرب والترك والفرس والشركس والبربر الخ... وهو الذي صاغ عاداتها وتقاليدها وأدواقها، وهو الذي شكل قيمها وأخلاقها وتفكيرها، وهو الذي كون حضارتها وتاريخها وثقافتها، وهو الذي حفظ لغتها العربية من الضياع والانقراض، إن التأصيل القومي الذي يعتد بالأمة العربية، ويعتبر بأنّ أرض فلسطين أرض لها، يقودنا إلى إشكالية أخرى حسب التأصيل القومي العربي وهي أسبقية الوجود اليهودي في فلسطين، والذي بدأ قبل الميلاد بألفي سنة، في حين أنّ الوجود العربي في فلسطين بدأ - حسب الطرح القومي - في منتصف القرن السابع الميلادي، ومن أجل حل هذه الإشكالية وسدّ هذه الثغرة اعتبر بعض منظري الفكر القومي العربي وبخاصة منظري حركة القوميين العرب أنّ الأمم السابقة على تشكيل الأمة العربية الإسلامية كالأمة الفينيقية في بلاد الشام والأمة الآشورية في بلاد العراق والأمة الفرعونية في مصر والأمة البربرية في شمال أفريقيا الخ...

اعتبروا كل تلك الأمم أمة عربية ولكن في مرحلة الإبهام، واعتبروا أنّ القومية تمر بمرحلتين:

الأولى: مبهمّة.

والثانية: واضحة،

ولا شك أنّ هذا كلام لا يستقيم مع أدنى درجات العقل والمنطق، فكيف يمكن أن نعتبر الفينيقيين والفراعنة والآشوريين والبرابرة والكلدانيين أمة عربية وهم ليسوا جنساً عربياً ولا يتكلمون لغة عربية، وليس بينهم وبين الأمة العربية الإسلامية أي اتصال في العادات والتقاليد والأخلاق والثقافة والقيم!!!

فلسطين .. الأرض والقضية

التأصيل الشيوعي:

اعتبرت الأحزاب الشيوعية حسب تحليلها الماركسي أنّ الطبقة العاملة واحدة لدى الشعبين العربي واليهودي، وأنّ عليها أن تتحد في مواجهة الطبقة البورجوازية العربية - اليهودية والمتحالفة مع الرأسمالية العالمية، لذلك وقفت الأحزاب الشيوعية ضد الحرب العربية اليهودية عام 1948م، واعتبرتها مؤامرة من الإمبريالية الغربية وعميلتها البورجوازية العربية - اليهودية ضد البروليتاريا العربية - اليهودية، واستناداً إلى ذلك وقفت الأحزاب الشيوعية اليهودية والعربية إلى جانب قرار تقسيم فلسطين اتباعاً للاتحاد السوفييتي، ودعت إلى الاعتراف بالدولة اليهودية إثر قيامها عام 1948م.

لا شك أنّ هذا التأصيل متهاافت، ولم تتجاوب الجماهير العربية المسلمة معه بسبب الإلحاد الذي روّجت له الأحزاب الشيوعية من جهة، ولأنه يعطي اليهود حقاً في فلسطين مع أنه لا حق لهم فيها من جهة ثانية، ولأنه يحول صراعنا مع اليهود من صراع وجود إلى صراع طبقات من جهة ثالثة،

والواضح أنّ هذا التأصيل الشيوعي كان أكثر رواجاً لدى الجانب اليهودي حيث تلقفته القيادة الصهيونية ووضعت كورقة بيدها تستخدمها في حال انتصار الشيوعية في البلاد العربية من أجل تمكين اليهود في فلسطين، ودعته ببعض التطبيقات الاشتراكية في مجال العمال والمستعمرات، فأنشأت اتحاداً ضخماً للعمال (الهستدروت)، كما أنشأت مستعمرات استيطانية تطبق النهج الاشتراكي (الكيبوتز والموشاف).

التأصيل الوطني:

يعتبر التأصيل الوطني أنّ أرض فلسطين وطن للفلسطينيين المقيمين فيها، ولم يأخذ هذا التأصيل بلورته العربية إلاّ عند نشوء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م بقرار من القمة العربية المنعقدة آنذاك، وكان القصد من إنشاء المنظمة إيجاد تمثيل للشعب الفلسطيني الذي كان قد سُتت في عدد من البلدان العربية إثر نكبة عام 1948م،

وقد مر تمثيل المنظمة للفلسطينيين بعدة مراحل، فقد اشتركت المنظمة مع المملكة الأردنية الهاشمية في تمثيل الفلسطينيين في المرحلة الأولى، ثم أصبحت المنظمة الممثل الرسمي الوحيد للفلسطينيين بعد القمة العربية عام 1974م في مرحلة ثانية، ثم أعلن الأردن في 31/8/1988 انفكاك الوحدة بين الضفتين وتخلّيه عن مسؤولية إدارتها إثر انتفاضة الحجارة الفلسطينية في ديسمبر/كانون أول عام 1987م والتي شملت الضفة الغربية وقطاع غزة، وكانت النتيجة أن أصبحت منظمة التحرير هي المسؤولة عن إدارة الضفة وقطاع غزة في مرحلة ثالثة، فأعلنت قيام الدولة الفلسطينية في الجزائر في منتصف نوفمبر عام 1988م، ثم اشتركت منظمة التحرير مع سورية والأردن ولبنان في مفاوضات سلام مع العدو الاسرائيلي في مدريد نهاية أكتوبر/تشرين أول عام 1991م، ثم انفردت المنظمة في مفاوضات سرية مع العدو الاسرائيلي في أوسلو، والتي انتهت بالتوقيع على ما عُرف باتفاقية أوسلو في البيت الأبيض في 13 سبتمبر/أيلول عام 1993م، والتي انبثق عنها قيام حكم ذاتي منقوص السيادة على الأرض والمياه والحدود والأمن والمقدرات، ولا يتوازى بحال من الأحوال مع التضحيات التي قدمتها أمتنا خلال التاريخ القريب والبعيد.

إنّ التأصيل الوطني وحده لا يستقيم مع حقائق الجغرافيا والتاريخ والواقع الاجتماعي لفلسطين وشعبها،

أما عن الجغرافيا فإنّ فلسطين الحالية لم تعرف الوحدة الجغرافية في الخلافة العثمانية وما قبلها، بل كانت إما أن يُقطع منها أرض أو مدن فتلحق بولايات أخرى، أو كان يلحق بمدنها أرض أو مدن من ولايات أخرى، وعندما رسم الانجليز فلسطين بحدودها الجغرافية الحالية لم يرسموها بناء على حقائق تاريخية أو دينية، إنما رسموها بناء على مصالح سياسية أثناء الحرب العالمية الأولى حدّدها اتفاق سايكس بيكو من جهة، ووعد بلفور من جهة ثانية.

أما عن التاريخ فلم تعرف فلسطين بحدودها الجغرافية الحالية أية شخصية خاصة بها على مدار التاريخ الماضي قبل الإسلام وبعده، ولم تعرف أي تمايز عن محيطها الجغرافي في عادات أو تقاليد أو أخلاق أو قيم الخ. . .، إنما كانت تشكل باستمرار جزءاً من النسيج الاجتماعي والثقافي والأخلاقي المحيط بها وهو على الأقل محيط بلاد الشام.

إنّ التأصيل الوطني ضعيف مع دعائه وفي وجه أعدائه:

ضعيف مع دعائه؛ لأنه تأصيل -كما رأينا- لا يتفق مع حقائق الجغرافيا والتاريخ، وضعيف في وجه أعدائه لأنه لا يثبت أمام الدعوى التاريخية الصهيونية في سكنى فلسطين قبل الميلاد.

فلسطين .. الأرض والقضية

ولكن تقنيننا للتأصيل الوطني لا يعني أننا لا نفرح حب المرء لوطنه وبالذات المقدسات فيه، لا، فهذا أمر فطري أقره الإسلام وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم، أقره الإسلام عندما قال سبحانه وتعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) التوبة: 24 ، وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال عن مكة: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت" (رواه أحمد)، ولكن نقول إن هذا الحب وحده لا يقيم تأصيلاً؛ لأنه يشترك فيه جميع البشر.

التأصيل الإسلامي:

قبل الدخول في الحديث عن التأصيل الإسلامي للقضية الفلسطينية يحسن بنا الوقوف على دعاوى التأصيل الإسرائيلي.

ما الدعاوى التي يقوم التأصيل الإسرائيلي عليها؟

يقوم التأصيل اليهودي لاغتصاب فلسطين على ادعاءين:

أنهم شعب الله المختار من جهة،

وأن الله وعدهم أرض فلسطين من جهة ثانية.

وللرد على هذين الزعمين، نفق معاً حول وجهة نظر الإسلامية تجاه إدعاء كون أن اليهود هم شعب الله المختار ...

يقر التأصيل الإسلامي ابتداءً بأن الله سبحانه وتعالى فضل بني إسرائيل فقال سبحانه وتعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: 47)، (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [الجاثية: 16]، ولكن هذا التفضيل مقصور على الأقوام التي عاصرت بني إسرائيل وليس تفضيلاً إلى قيام الساعة كما ادعى بنو إسرائيل فيما بعد،

ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً بأن الله وعدهم بأرض فلسطين على عهد موسى عليه السلام؛ إذ قال موسى عليه السلام مخاطباً قومه: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) [المائدة: 21]،

ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً استناداً إلى القرآن الكريم بأن بني إسرائيل لم يقوموا بالواجبات المترتبة على نعمة التفضيل تلك، بل كانوا نموذجاً في الجحود والوقوع في الشرك وعدم احترام الأنبياء وطاعتهم،

ويمكن أن نبدأ بتوضيح موقفهم من الوعد بالأرض المقدسة، فهم لم يستجيبوا لطلب موسى عليه السلام بالدخول بل أعلنوا أنهم خائفون من ساكنيها الذين وصفوهم بالجبارين، وأعلنوا أنهم لن يدخلوها حتى يخرج ساكنوها، ولم يستجيبوا لنصيحة الرجلين المؤمنين بأن يبادروا ساكني فلسطين بالقتال، وأكدوا أنهم لن يدخلوها مادام ساكنوها فيها، وطلبوا في قلة أدب صارخة أن يذهب موسى عليه السلام وربهم لمقاتلة ساكني فلسطين، وكأن الأمر لا يعينهم ولا يهيمهم، وكانت النتيجة تحريم الله الأرض عليهم ومعاقبتهم بالتبعية في الصحراء، وقد بينت آيات القرآن الكريم كل ذلك فقال سبحانه وتعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). [المائدة: 21-25].

ولقد كان موقفهم من قضية توحيد الله لا يقل سوءاً عن موقفهم من قضية الأمر بدخول (الأرض المقدسة)، ومن ذلك طلبهم إلى موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناماً يعكفون عليها عندما مروا على قوم يعبدون الأصنام، فغضب موسى عليه السلام من ذلك غضباً شديداً، وبخاصة أن طلبهم جاء بعد إنعام الله سبحانه وتعالى عليهم بإنجائهم من عذاب فرعون في مصر، تحدث القرآن عن ذلك فقال سبحانه وتعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا مِتْبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: 38-139)،

ومن مواقفهم السيئة -أيضاً- في مجال التوحيد عكوفهم على العجل الذي أقامه السامري لهم عند ذهاب موسى عليه السلام إلى جبل الطور لجلب الألواح التي تحتوي على التشريعات الإلهية المنزلة إليهم، وإخبار الله سبحانه وتعالى له بهذا الكفر الذي وقعوا فيه، وغضب موسى عليه السلام عندما رآهم يعكفون على تلك الأصنام، وقد بين القرآن الكريم كل ذلك وبين غضب الله عليهم والذلة التي ستصيبهم في الحياة الدنيا،

فلسطين .. الأرض والقضية

قال سبحانه وتعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَصْغَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَلَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) (الأعراف: 148-152)،

وقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم، عن جوانب كثيرة من انحراف بني اسرائيل تجلت في طلبهم رؤية الله بعد أن اختار موسى سبعين رجلاً من خيرة بني اسرائيل للذهاب معه إلى جبل الطور لإظهار الندم على عبادة العجل ومع أنهم في موقف توبة وندم فإنهم طلبوا أن يروا الله جهرة مما يدل على سوء أديهم مع الله، قال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة: 55-56]

ثم بينت آيات أخرى سوء فطرتهم لطلبهم الفوم والعدس والبصل عوضاً عن المن والسلوى، قال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتُسْتَبْلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) [البقرة: 61]،

ثم تحدثت آيات أخرى عن اعتدائهم في السبت واحتيالهم على أوامر الله ومعاقبة الله لهم بأن مسخهم قردة فقال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) [البقرة: 66].

وقد تحدثت آيات كثيرة أخرى في سور متعددة عن إفساد بني اسرائيل وقسوة قلوبهم وتجذر الحسد والكراهية في نفوسهم وشقاقهم وكثرة اختلافهم وجبنهم وحرصهم على الدنيا واستكبارهم، ثم كانت نتيجة ذلك أن أوقع الله عليهم اللعنة وقضى عليهم بالدلة والمسكنة والغضب، أما عن اللعن فقال سبحانه وتعالى: (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة: 78-79)،

وأما عن الغضب والدلة والمسكنة فقال سبحانه وتعالى: (وضربت عليهم الدلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (البقرة: 61)، وفي سورة أخرى قال سبحانه وتعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ). [آل عمران: 112].

وكانت نتيجة غضب الله عليهم ولعنهم وضرب الدلة والمسكنة عليهم أن انتزع الله التفضيل منهم، ولم يعودوا شعب الله المختار المؤهل لسكنى الأرض المقدسة، بل شعب الله المغضوب عليه الذي نتعوز في كل صلاة من أن نكون مثله عندما نقرأ قوله سبحانه وتعالى: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (الفاتحة: 6-7).

كان هذه هي وجهة النظر الإسلامية مستمدة من مصدر الإسلام الأول كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، متسمه بالوضوح والعدل والقسط تجاه إدعاء أن يهود هم شعب الله المختار .

ويزيد التأصيل الإسلامي بعد تصحيحه - لمفهوم هذه الدعوى - في إثبات حق امتنا الإسلامية في فلسطين في توضيح الركائز الثلاث التالية: أخوة الأنبياء من جهة،

وتشكيل جميع أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري من جهة ثانية،

وقدسية فلسطين سبقت وجود بني اسرائيل وسبقت ابتعاث موسى عليه السلام من جهة ثالثة.

أما الركيزة الأولى وهي أخوة الأنبياء فذلك يعني أن المطلوب من المسلم هو الإيمان بجميع الأنبياء وأن الكفر بواحد منهم هو الكفر بهم جميعاً فقد قال سبحانه وتعالى: (أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة: 285] (البقرة: 285)، لذلك رأينا كل نبي يدعو إلى الإيمان بمن سبقه، ويبشر بمن يأتي بعده، ويأمر أتباعه بالإيمان به عند ابتعاثه، قال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [الصف: 6].

فلسطين .. الأرض والقضية

ورأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لنا أنه أولى بموسى من بني إسرائيل، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق فرعون فصام موسى شكراً لله، فقال: "أنا أولى بموسى منهم" فصامه وأمر بصيامه. (رواه البخاري).

أما الركيزة الثانية في التأصيل الإسلامي فتقوم على أن أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري، فقد تحدثت سورة "الأنبياء" عن معظم الأنبياء السابقين وهم: موسى، وهارون، وإبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وأيوب، واسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام جميعاً، وذكرت تفاصيل عن دعوتهم وعبادتهم الخ... ثم أشارت إلى أن كل هؤلاء الأنبياء يشكلون أمة واحدة فقال سبحانه وتعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 92]، كذلك تحدثت سورة أخرى وهي سورة "المؤمنون" عن عدد من الأنبياء هم: نوح، وهود، وموسى، وهارون، وعيسى عليهم السلام، ثم قالت: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (المؤمنون: 53)، ولما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وسيدهم وإمامهم كما تأكد ذلك عندما أمهم في الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، فكانت أمته بالضرورة هي الوارثة لأمة الأنبياء الواحدة.

أما الركيزة الثالثة وهي قدسية فلسطين قبل وجود بني إسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام فقد جاءت من وجود المسجد الأقصى فيها، ومن أنها أرض مباركة، فقد بين القرآن الكريم أن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) [آل عمران: 96]، ثم بين الحديث الشريف أن المسجد الأقصى بُني بعد ذلك بأربعين سنة، فقد جاء عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ ... قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ ... قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ .. قال: أربعون سنة. (أخرجه البخاري)، وقد تم كل هذا في بداية سكنى الإنسان للأرض، وقد وصف القرآن الكريم أرض فلسطين بأنها مباركة عندما هاجر إليها إبراهيم ولوط -عليهما السلام- قبل وجود بني إسرائيل، قال سبحانه وتعالى: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 71]، لذلك عندما دعا موسى عليه السلام قومه إلى دخول فلسطين قال لهم: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) [المائدة: 21]، ففلسطين مقدسة قبل دعوتهم إلى دخولها، وكذلك عندما عرج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء كان عروجه من المسجد الأقصى إيراداً لقدسيته، وكانت واقعة الإسراء المقصود منها تعليم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الوارثة لأمة الأنبياء الربط بين أقدس مكانين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، قال سبحانه وتعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الإسراء: 1]. رأينا فيما سبق أن التأصيل الإسلامي لحقنا في فلسطين يقوم على ثلاث ركائز: الأولى: الرسول محمد أخ للرسول موسى عليهما السلام، ونحن أولى بموسى من بني إسرائيل؛ لأنهم عاصون له ومحرفون لرسالته ومغضوب عليهم من الله.

والثانية: أمة الأنبياء واحدة على مدار التاريخ، وأمة محمد هي الوارثة لأمة الأنبياء، والثالثة: فلسطين مقدسة قبل وجود بني إسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام، وطالما أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الوارثة لأمة الأنبياء فهي الوارثة لأرض فلسطين المقدسة وهي الوارثة للمقدسات الموجودة فيها.

والآن بعد أن فندنا الدعاوي الاسرائيلية، وبيّنا ركائز التأصيل الإسلامي، ووضحنا ضعف التأصيلات الأخرى: القومية، والشيوعية، والوطنية، نستطيع أن نقول: إن أحد عوامل هزيمتنا هو اعتماد تلك التأصيلات مع ضعفها، وعدم اعتماد التأصيل الإسلامي مع أنه يتفق مع حقائق التاريخ والجغرافيا من جهة، ويمتلك كل مقومات التماسك والعقلانية والسلامة الشرعية من جهة ثانية.

فلسطين .. الأرض والقضية

إسلامية فلسطين

ارض الانبياء ووقف اسلامي

سبحان الذي أسري بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله،

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى .

الجامع الصحيح للإمام البخاري

إسلامية فلسطين تعني:

الأرض المقدسة — أرض الرباط — أولي القبلتين — ثاني المسجدين — ثالث الحرمين الشريفين — مسري رسول الله — صلي الله عليه وسلم — منها عرج إلي السماء، الأرض التي بارك الله فيها وحولها — أرض المحشر والمنشر — الأرض التي ورد بخصوصها لفظ البركة سبع مرات. ما فيها شبر إلا صلي عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب ... وتاب الله علي زكريا وبشره ببحي في بيت المقدس، وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقربون القرابين في بيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس، وولد عيسى عليه الصلاة والسلام وتعلم في المهد صبيّاً في بيت المقدس، وأعطى الله البراق للنبي صلي الله عليه وسلم — لتحمله إلي بيت المقدس،

فلسطين في السنة النبوية الشريفة

ما رواه البخاري عن النبي صلي الله عليه وسلم: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتي يأتيهم أمر الله وهم علي ذلك، قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ وهم بالشام، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشام. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي علي الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتي يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: وأين هم؟ ... قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس. الحديث الذي ورد عن أبي ذر — رضي الله عنه — أنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ .. قال: المسجد الحرام .. قال: قلت ثم أي؟ .. قال المسجد الأقصى ... قلت كم كان بينهما؟ ... قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتكم الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه، ما ورد عن البراء بن عازب — رضي الله عنه — قال: صلبنا مع رسول الله — صلي الله عليه وسلم — نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة، لقد كانت القدس القبلة الأولى للمسلمين منذ فرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، حتي أذن الله بتحويل القبلة إلي بيت الله الحرام. روي أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى وهذا يدل علي الاهتمام الكبير الذي أولاه الرسول — صلي الله عليه وسلم — للمسجد الأقصى. المبارك، حيث ربط قيمته وبركته مع قيمة وبركة شقيقه المسجد الحرام.

فلسطين أرض الأنبياء

كفي أرض فلسطين شرفاً أن تكون مأوى ومهاجر لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولوط عليه الصلاة والسلام، ومحط رحال ليعقوب ويوسف، عليهما الصلاة والسلام، كما صلي رسولنا محمد — صلي الله عليه وسلم — إماماً بالأنبياء في المسجد الأقصى المبارك، وما من شبر في أرض فلسطين إلا وكانت له حكاية مع نبي من أنبياء الله تعالى

ارض وقف اسلامي

خصوصية فلسطين — انها أرض وقف إسلامي، ملك عام للمسلمين عامة، وارتباط المسلمين بهذه الأرض الطاهرة ارتباطاً عقدياً وتعبدياً وسياسياً وتاريخياً وحضارياً، والمسجد الأقصى المبارك ملك عام للمسلمين.

فلسطين .. الأرض والقضية

أكاذيب وحقائق في قضية فلسطين

من خلال الزخم الفكري والشعارات التي أحاطت بقضية فلسطين، تم الدفع بدعاوى وأكاذيب مضللة يريدون بها ليّ الحقائق.

ومن هذه الأكاذيب التزييف التاريخي لأرض فلسطين..

إن أرض فلسطين شهدت على مرّ العصور تعاقب عدة حضارات سامية، وكانت موطن كثيرٍ من الأنبياء الذين جعلوها مركزاً للدعوة ونشر الدين الإسلامي، وكان الفتح الإسلامي لهذه الأرض - كجزءٍ من بلاد الشام - (خاصة الفتح العمري لبيت المقدس) أكبر الأثر في بدء مرحلة جديدة لأرض فلسطين المباركة في ظل الدولة الإسلامية والخلافة الراشدة.

- والقوميون عندما يتحدثون عن فلسطين كأرض وتراث وتاريخ يسقط من ركائز الفهم عندهم البعد الأساسي للدور الإسلامي، وارتباطها الجذري بدين الله والرسالات السماوية، ونجد أكثر الحديث لديهم عن حضارات الكنعانيين واليبوسيين والفينيقيين.. إلخ، وأن سيدنا يعقوب وداود وسليمان عليهم السلام كانوا محتلين لهذه الأرض لمدة قصيرة.

في حين أن حقائق التاريخ توضح كيف ارتبطت أرض فلسطين أساساً بالإسلام منذ فجر التاريخ، فقد وطأتها أقدام كثير من الأنبياء، يحملون دعوة الإسلام، ويدعون إلى عقيدة لا إله إلا الله، وأمة الإسلام عبر التاريخ هي صاحبة فلسطين، وليس الكنعانيون أو الفينيقيون أو الآشوريون أو اليهود أو غيرهم.

وأن الأنبياء المسلمين: سيدنا إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان عليهم السلام؛ لم يكونوا محتلين لهذه الأرض، بل كانت منطلقهم لنشر الإسلام منذ فجر التاريخ، وهو دين الأنبياء جميعاً.

- والأكذوبة الثانية التي يتحدثون عنها؛ هي أكذوبة هيكل سليمان التي يدعيها اليهود.

إن سيدنا داود، ومن بعده سيدنا سليمان، لم يبنِ هيكلًا، وإنما بنى مسجدًا هو المسجد الأقصى، وأول بناء له أقامته الملائكة منذ فجر التاريخ، بعد أربعين عامًا من بناء الكعبة - كما ورد بالحديث الشريف.

ومثله أيضًا، أكذوبة حائط المبكى الذي لا أصل له، إنما الحقيقة أنه حائط البراق الذي يشكل جزءًا من جدار المسجد ومن مقدسات المسلمين. ومن الدعاوى الفاسدة ما يردّد البعض أن الفجوة العسكرية والتكنولوجية الحالية قد حسمت المعركة لصالح العدو الصهيوني، وبالتالي علينا أن نقبل ما يقدمه من فتات، قبل أن لا نجد شيئاً نناله، وهذه أكذوبة كبرى يدحضها التاريخ وحقائق الأمور.

فإن إمكانيات الأمة الإسلامية هائلة، تستطيع أن تحسم القضية، وأن الوقت الذي ستمكن فيه من حشد طاقاتها وتغيير المعادلة؛ ليس ببعيد في عمر الحضارات، وأنه ما دامت روح المقاومة قائمة والتمسك بالمبادئ والثبات على العقيدة مستمر؛ فسينتهي الأمر إلى لفظ هذا الكيان الدخيل والقضاء عليه بإذن الله.

والتاريخ يعيد نفسه عندما استولت الجيوش الصليبية على هذه الأرض المباركة، وفي أقل من مائتي عام دحرتهم الأمة الإسلامية تمامًا، وبعض القادة الصهاينة يعلم ذلك جيدًا؛ لكنهم يمنون أنفسهم بأنه طالما أبعادوا الأمة الإسلامية عن دينها والاحتكام لشرعها، وأنه طالما أبعادوا الإسلام عن ميدان المعركة والمواجهة؛ فسيكونون هم بأمان إلى حين.

ولهذا نرى الجهد الحثيث والهجوم المتواصل على كل دعوة تريد للأمة عزتها، والعودة للتمسك بدينها وإقامة شرع الله فيها.

ومن الدعاوى الباطلة التحجج بالاتفاقيات الدولية التي تمّ إبرامها في هذه القضية؛ مثل اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدات السلام، وغيرها من

اتفاقيات على نفس المسار.

في حين أن كل ذلك فاقد للشرعية، حيث إنها تخالف ثوابت وتهدر حقوقًا إسلامية وإنسانية لا يجوز إهدارها.

ولا يملك أحد مهما كانت قوته أو كثر عدده أن يعطي أو يفرض أي شرعية لهذا الكيان الغاصب، ولو على شبر واحد من أرض فلسطين.

وبالتالي، فإن هذه الاتفاقيات التي تمّ إبرامها مع الحكام لا تلزم الأمة الإسلامية، بل وحتى إذا وافقت عليها الشعوب في أي وقتٍ لا يعطيها ذلك الشرعية؛ لأنها موافقة باطلة شرعًا.

وتصوير الأمر من وجهة أخرى أنه حالة اضطرار وإكراه؛ فإننا نوضح أن حالة الاضطراب والضرورة تكون أساسًا في إجراءات التنفيذ إلى

حين ومدة محدودة، وليس بإقرار الشرعية والرضى بذلك، مع الجدية في اتخاذ الخطوات التي تقوي حال الأمة، وتخرجها من حالة الاضطراب.

فلسطين .. الأرض والقضية

وكذلك حسب القاعدة الشرعية تكون حالة الضرورة حسب حجمها وحقيقتها، وليس بإطلاقها وتوسيع دائرتها فإن كان الاضطراب للموافقة على هدنة لإيقاف القتال، فلا يتعدى ذلك إلى سلام دائم أو إقرار بالشرعية للمغتصب.

وكذلك لا يسمح بحالة الاضطراب إلا بعد استفاد الإمكانات ووسائل الضغط والدفع ومدى القدرة على احتمال حالة الضرر المتوقع بقاءً أو غالباً حدوثه، ووزن ذلك بالميزان الشرعي، وليس بالهوى النفسي؛ خاصةً أن إمكانيات الأمة العربية والإسلامية هائلة، ولكن لم تستخدم بعد عن عمد وتآمر وتضليل من الحكام لشعوبها.

وموقف الإخوان المسلمين الرافض لكأب ديفيد ومعاهدات السلام وغيرها واضح وثابت وقائم على الأصول الشرعية، التي لا يملك أحد الحق في التفريط فيها؛ حتى ولو خالفها في موقفها جميع الناس.

وقد دفع الإخوان تضحيات كثيرة مستمرة حتى يومنا هذا، من أجل هذا الموقف الثابت من اعتقالات ومحاكمات ومصادرات وجرحى وشهداء.. إلخ، فالأمر مسألة مبدأ لا يستطيعون السكوت عنه حتى لو سكت الجميع أو تعرضوا لضرر إذا أعلنوا ذلك.

والإخوان لهم مرجعية واحدة وميزان واحد يقيسون به الأمور؛ هو شرع الله وأحكامه، وقد كان لهم مثل هذا الموقف من مشروع بنود المعاهدة مع الإنجليز عام 1954م؛ حيث كانت بعض بنودها تعطي الإنجليز ما لا حق لهم في مصر.

وقد أوضح ذلك فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي وقتها في خطاب وجهه للأمة عام 1954م.

ونذكر جزءاً منه هنا توضيحاً لهذه القاعدة الشرعية:

"... وهذا الذي فعله الإخوان المسلمون من معارضة كل اتفاق مع المستعمرين، ليس شهوة عندهم، وإنما هو أصل دينهم؛ فإن أحكام الإسلام تقتضي أنه إذا وطئت أقدام العدو أرض المسلمين وجب على كل واحد منهم صغيراً أو كبيراً، الرجل والمرأة في ذلك سواء؛ أن ينهضوا لدفع العدو أيّاً كان حتى يعيدوه إلى عقر داره".

وإذا كان ليست لنا قوة على ذلك حتى الآن، وإلى أن يمنحنا الله القوة لدفعهم أو يوجد من أسباب ضعفهم ما يمكننا من ذلك، فليس لنا أن نرضى بوجودهم على أرض الإسلام، بمقتضى اتفاقات نعدها معهم، ولا أن نرضى بأي ارتباط كان.

فإذا جئنا عن أرض الإسلام، فللمسلمين أن يرتبطوا بالاتفاقيات التي تقتضيها مصلحة الإسلام، وإذا كانت بعض الحكومات تضطر إلى قبول مثل هذه الاتفاقيات؛ فمما يخالف هذا الأصل أن يرضى الإخوان المسلمون به أو يوافقوا عليه، ويجب على الإخوان المسلمين أن يحافظوا كل المحافظة على هذا الأصل؛ حتى لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم مختارين أو مضطرين إلى مخالفة الأصل الذي قدمته لكم".

ويقول أيضاً:

"... والإخوان المسلمون على ما أوصاهم به ربهم لا يؤيدون جزافاً ولا يعارضون جزافاً، وإنما تبع للحق أينما كان، ولو كان من خصومهم، وضد الباطل أينما كان ولو كان مع أصدقائهم".

ويقول أيضاً:

"... أيها الإخوان إن من شأن الدعوات ألا تترخص في شيء من أصولها، فكونوا مستعدين للموت في سبيل دعوتكم، فإن من مبادئنا "الموت في سبيل الله أسمى أمانتنا"، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21).

مقارنة بين المشروع الإسلامي

والمشروع القومي العلماني

د. محمد عبد الرحمن

كانت الأمة العربية وكذلك الإسلامية تمر بمرحلة حرجة من الضعف والتمزق والانقسام بعد الحرب العالمية الأولى؛ إلى دول وأقطار يحتل أغلبها الاستعمار، ومع بداية تزايد الروح القومية في شتى الأقطار تحاول أن تحصل على حريتها وتستقل ببلادها؛ كانت صيحات المقاومة موجودة، ولكنها قليلة، لا تحمل رؤية كاملة، وكانت حركات المقاومة المسلحة ضعيفة، وقدمت تضحيات كثيرة؛ لكن تمكن المحتل المتفوق عسكرياً من ضربها وإزالة خطرها عليه.

كانت الروح الإسلامية والروح القومية تصب في وعاء واحد، وكأنها انتماء واحد لا تعارض فيه، وكان هذا سمت الشخصيات الوطنية التي كانت تدعو وقتها للتحرر، وتسعى لإنهاض الأمة مثل الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد... إلخ.

فلسطين .. الأرض والقضية

ثم لم يلبث الزمن لعوامل عدة أن بدأت بلورة تيار قومي علماني، يبتعد في نظرته عن المنطلق الإسلامي وعن ارتباطه بالأمة الإسلامية، وكان ما حدث للخلافة العثمانية من تدهور وسقوط أثره وظلاله على الأحداث، بل وبالغ البعض في هذا التيار بطرح أفكار معادية للفكرة الإسلامية والانتماء الإسلامي، والتمسك بالقومية المحلية مثل الفرعونية والآشورية.. إلخ، أو حتى طلب التخلص من الانتماء العربي والتركيز على الارتباط الأوروبي والكيان البحر متوسطي.

وعندما ثار أهل فلسطين ضد الاحتلال الإنجليزي والاستيطان اليهودي، وهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة؛ كان أصحاب المشروع القومي مشغولين ببلادهم وأضعف من أن يقدموا لهم أي عون حقيقي أو يمتلكون رؤية بعيدة المدى. ومن هنا كانت الفرصة كبيرة ومناحة للإنجليز واليهود لاغتصاب فلسطين، وإنشاء الكيان الصهيوني كجزء من المشروع اليهودي الغربي، وليكون رأس حربة في السيطرة على المنطقة.

في وسط هذه الأحداث وتلك المؤامرات جاء الإمام الشهيد يُقدِّم رؤيته الإستراتيجية، ويطرح مشروعه الإسلامي المتكامل، وينزل به إلى أرض الواقع، ويجعل القضية الفلسطينية محوراً أساسياً في هذا المشروع. وذلك وفق رؤية عميقة شاملة مكافئة للواقع ليس مشروعاً صغيراً أو محدوداً لمواجهة مشكلة محدودة أو قضية عابرة، وإنما لإعادة الأمة الإسلامية في العالم كله للتمسك بدينها، وإقامة نهضتها وتحرير بلادها واستعادة ريادتها للعالم كله.

المسار التاريخي للمشروع الإسلامي:

كانت حركة الإمام الشهيد مبكرة، ومشروعه المتكامل جاهزاً على أرض الواقع، واستطاع أن يُحرِّك الأمة وفق هذا المشروع تجاه قضية فلسطين، وأن يحشد لها في هذا الميدان من المنطلق الإسلامي والواجب الشرعي والوطني، ونجح في أن يحدث هذا التحول من عام 1932م حتى عام 1942م، أي خلال عشر سنوات، ثم يقوم بتفعيله وتوجيهه عملياً لإجراءات فعالة، وكان للمشروع الإسلامي من السعة والمقدرة على الاستيعاب أن تمكن من التأثير في المؤسسات والهيئات والشخصيات الوطنية والسياسية، وأن يوجد مساحة مشتركة يستقبلهم فيها، ويوظفهم لصالح هذه القضية التي أصبحت هي قضية الأمة كلها.

وكان لهذا المشروع عبر مساره التاريخي عدة خصائص منها:

- 1- المحافظة على المشروع الإسلامي متكاملًا عبر السنوات الطويلة، والثبات على مبادئه وأهدافه مهما كانت الظروف.
- 2- وجود الرؤية الإستراتيجية الواضحة، وعدم غيابها في الأحداث والمواقف الفاصلة؛ فلم تغب عنها الأهداف.
- 3- تقديم مصلحة المشروع الإسلامي، وتحقيق أهدافه على المصلحة الذاتية الآنية للجماعة؛ فكانت التضحيات أكبر من النتائج المباشرة في بعض الأحداث المهمة؛ لأنها تصبُّ في تحقيق الأهداف الرئيسية للمشروع، ولأن موازين الجماعة في تقدير الأمور تنطلق من الموازين الإيمانية والدعوة الربانية.
- 4 - التدرج في الخطوات، والحرص على التواصل بين تلك المراحل، وبين الأجيال جيلاً بعد جيل في حمل المشروع والثبات على مبادئه، والاهتمام بالبناء العقائدي والفكري وطول النفس في ذلك.
- 5 - عدم الانخداع بالمساومات أو الاستدراج لمشاريع جزئية فيها بعض التخلي عن الثبات عن الثوابت مهما كانت الظروف والضغوط.
- 6 - القدرة الفاعلة على التواصل مع الجماهير عندما يُتاح لها ذلك، والتأثير الإيجابي لتأييد المشروع الإسلامي ومساندته.
- 7- محاولة جمع الصفوف، واتساع صدرها لقوى المقاومة الأخرى، والتعاون في المساحة المشتركة مع استمرار الجماعة على خطها الإسلامي ومشروعها المتميز.

وقد مرَّ المشروع الإسلامي منذ نشأته بأربع مراحل؛ هي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي قادها الإمام الشهيد، وأعدَّ فيها المشروع الإسلامي بمنطلقاته وأهدافه وآلياته، واستطاع أن يحشد الأمة في الاتجاه الصحيح.

المرحلة الثانية: وكانت تمثل رد فعل الأعداء الذين وجهوا ضربةً عنيفةً للجماعة وحاصروها، وحاولوا القضاء عليها وإقصائها، واستمرت تلك المرحلة طوال العهد الناصري، ورغم هذا كان للجماعة بعض الفعاليات على أرض فلسطين والثبات على المبادئ وعدم التنازل.

فلسطين .. الأرض والقضية

المرحلة الثالثة: وهي نتيجة لمستجدات ومتغيرات محلية ودولية، بعد فشل مخطط القضاء على الجماعة؛ كان هناك حالة من هامش محدود للحركة والوجود، مع استمرار العرقلة والتضييق بمختلف الدرجات مع ظهور عمليات المساومة ومحاولات الاستدراج تتكرر معها عمليات الضغط والضربات؛ وذلك للتخلي عن ثوابت القضية، أو التنازل عن بعضها مقابل بعض المكاسب... وقد تميّزت فيها الجماعة بالثبات والصمود، والتركيز على تجهيز البنية التحتية، والاستفادة من هامش الحركة المحدود لأقصى درجة واستعادة التأثير في الأمة.

المرحلة الرابعة: وهي الحالية، تم للمشروع الإسلامي قطع مرحلة جيدة من التجهيز، ودخول ميدان المواجهة المباشرة مع العدو على أرض فلسطين، ومساندة الأمة له.

المسار التاريخي للمشروع القومي:

عندما ظهر المشروع الإسلامي رائداً وموجهاً خطابه للأمة، كانت القوى الوطنية والقومية من تيارات سياسية بعيدة عنه، بل ومعارضة له، ولم تكن القضية الفلسطينية ضمن أهدافها أو فعاليتها.

وعندما نجح المشروع الإسلامي للقضية الفلسطينية في تحريك الجماهير، وجذب كثير من الشخصيات الوطنية أصبح ذلك تياراً عاماً، تتحرك فيه الهيئات السياسية وأصحاب المشروعات القومية أو العلمانية، وإن كانت النوايا والمنطلقات مختلفة.

وكان الملاحظ أن القوى اليسارية، وخاصة الشيوعية، كان موقفها مهتزاً فأيدت قيام الكيان الصهيوني متأثرة بموقف الاتحاد السوفيتي وقتها.

وعندما تم محاصرة ومحاولة إقصاء المشروع الإسلامي وجماعة الإخوان؛ إذ بهذه القوى اليسارية تغير موقفها، وتبني تأييد المشروع القومي الوطني، وبالتالي أصبحت القضية الفلسطينية قضية عامة للأمة تتبناها القوى المختلفة؛ لكن من منطلق قومي محدود وليس وفق المنطلقات والأهداف الإسلامية، بل كان هناك حرص على إبعاد السمات الإسلامية عنها، وأصبحت القضية هي شعارات الحكومات العربية تجتمع عليها وتتحرك لها.

وأصبح هناك مشروع قومي علماني، يتناول القضية الفلسطينية برؤية خاصة به، وبأهداف وشعارات، وكان توظيف هذا الأمر لصالح القوى السياسية والحكام شيئاً سهلاً لكل من يريد الزعامة.

وقد أُتيح لهذا المشروع القومي العلماني من الإمكانيات، ومن تأييد الحكام وأجهزة الدولة، ومن الزخم الإعلامي الرسمي وغير الرسمي ما لم يفتح لتيار آخر.

وتمكن هذا التيار القومي من احتضان المشاريع الجزئية التي خرجت من أحضان التيار الإسلامي؛ مثل مشروع فتح للمقاومة، واستيعابه وتخليصه من آثار الصبغة والرؤية الإسلامية بحكم النشأة.

ونتيجة لهذه الإمكانيات والتأثير القوي تعلق آمال الجماهير به، ووقفت وراءه، ثم استيقظت بعد ذلك على صدمة وفجعة زيف الشعارات وتهريج القادة والمؤامرات الخفية.

ثم إذا بهذا المشروع تحت ضغط الأحداث وواقع الهزيمة، وتغير موازين الصراع بين الدول الكبرى يتنازل تدريجياً عن ثوابته وأهدافه التي أعلنها، بل وأقر في النهاية بما كان يرفضه وترفضه الأمة جميعاً بشأن اغتصاب فلسطين، وأقر في النهاية تحت مبررات: الحل مرحلي هذا هو المتاح - الموجود الآن أفضل من لا شيء - لا بد أن نكون واقعيين.. إلخ.

ومع ذلك نشير إلى أنه بقي منهم أفراد ذو توجه وطني يرفضون هذا الاستسلام؛ لكنهم لا يمثلون إلا جهداً فردياً وليس مشروعاً متكاملًا مستقلاً. وبذلك تعود الساحة إلى ما بدأت به، بالمشروع الإسلامي الرائد في مواجهة المشروع الصهيوني - الغربي.

مقارنة بين المشروعين حول بعض السمات والخصائص:

من حيث المنطلقات والمفاهيم الأساسية:

اختلفت هذه المنطلقات تماماً بين المشروعين؛ فالمشروع القومي يقصرها على الأمة العربية، ويعتبر أن الدائرة الإسلامية على الهامش، وفي مرحلة لاحقة أصبح يُصورها كأنها قضية أهل فلسطين، والأمة العربية للمساعدة، كما أنه يتعامل معها كقضية احتلال ورفع الظلم عن شعب عربي، ويرفض البعد العقائدي الإسلامي لها.

المشروع الإسلامي - فكما أشرنا - ينطلق من البعد العقائدي، وأنها قضية الأمة الإسلامية الأساسية، ويتعامل مع الكيان الصهيوني كمشروع عدواني خطير يستهدفها أكبر من مجرد احتلال أرض، وبالتالي فإن منطلقات المشروع الإسلامي أعمق وأوسع، وأن الطاقات التي يستند إليها لا حدود لها، ويضفي على مشروعه الإسلامي طاقةً روحية كبرى، ودافعاً عقائدياً يضمن به الاستمرار وتحمل الضغوط وإستراتيجية أعمق وأشمل.

فلسطين .. الأرض والقضية

من حيث الأهداف:

في البداية تبنى المشروع القومي الأهداف العملية التي طرحها المشروع الإسلامي بشأن فلسطين، ثم ما لبث أن تراجع عنها إلى أهداف مرحلية، ثم جعلها أهدافاً نهائية؛ ما يؤكد اهتزاز الإستراتيجية عنده، أما المشروع الإسلامي فما زال مستمراً على أهدافه، وكل خطواته ومواقفه العملية نابعة ومرتبطة برؤيته الإستراتيجية.

من حيث الريادة والتحدي المكافئ:

كان المشروع الإسلامي هو الأسبق وله الريادة، في حين أن المشروع القومي كان لاحقاً ولم يتمكن من احتلال الريادة إلا بعد ضرب الحكومات لأصحاب هذا المشروع ومحاوله إقصائهم، ثم تم مع تراجع الأداء والرؤية عند المشروع القومي، وتمكّن أصحاب المشروع الإسلامي من الحركة نسبياً، واستعادوا الريادة في الواقع العملي، وأصبحوا هم قادة المقاومة الفعلية التي تزج العدو وتستطيع حشد الأمة الإسلامية. وبالتالي فشل أصحاب المشروع في الوصول إلى التحدي المكافئ للعدو الصهيوني، في حين استمرّ المشروع الإسلامي متحدياً ثابتاً في طريقه؛ للوصول لمرحلة التحدي الكامل الذي يقضي على المشروع الصهيوني بإذن الله تعالى.

من حيث الأمل واليقين:

انهارت آمال أصحاب المشروع القومي، وتعرّضت لصدّات طوال المسيرة؛ فترجعوا واهتزّ اليقين عندهم فقبلوا بالأمر الواقع بما يشبه الهزيمة.

أما المشروع الإسلامي فلأنه يستمد طاقته وانطلاقته من العقيدة الإسلامية؛ فإنه رغم كل المحن والضغوط يزداد يقيناً بتحقيق النصر الكامل واستعادة كل فلسطين؛ ما يؤكد قوة بنائه النفسي.

من حيث مدى الثبات وعدم الاستراج:

ترتّب على النقاط السابقة فشل المشروع القومي في الاستمرار على نفس الأهداف والمبادئ التي وضعها، وتمّ استدراجه بحجج شتى؛ مثل المرحلية، قبول الأمر الواقع، اختلال موازين القوى العالمية.. إلخ، وقام بتغطية هذا الفشل والتراجع بعدة شعارات، بل ويحاول الضغط على أصحاب المشروع الإسلامي الثابت والمستمر؛ ليأخذ نفس المنحنى ويقرّ بهذا الأمر، وبالتالي أصبح يُستخدم من قبل العدو الصهيوني بطريقة غير مباشرة أو مباشرة لعرقله وضرب مشروع المقاومة.

من حيث ثقة الأمة ومدى التفافها حول المشروع:

كان للمشروع الإسلامي السبق والجهد الجيد في إيقاظ الأمة وتوعيتها، فالتفت حول المشروع الإسلامي وقدمت الدعم المطلوب؛ لكن مع ضرب الحكومات لأصحاب المشروع الإسلامي ومحاوله إقصائهم بالكامل، ثم إحلال مشروع آخر قومي علماني تؤيده وتحيطه بزخم إعلامي وشعارات حماسية صدقتها الأمة، وتعلّقت آمالها به لفترة، ثم استيقظت على فجيرة وصدمة زيف العمل لهذه الشعارات فانصرفت عنهم، ولم تعد تصدقهم أو تصدق شعاراتهم.

وعندما تمكّن أصحاب المشروع الإسلامي من الحركة والوصول للجماهير رغم التصويق؛ فإن الأمة أدركت من خلال تجربتها مدى صدق وثبات أصحاب المشروع الإسلامي، ثم رأت على أرض الواقع مدى فاعليته، كما كان للخطاب الإسلامي العقائدي التجاوب الصحيح للمسلمين والدافع الوطني المخلص لهم ولغيرهم، وما نتاج الانتخابات إلا أحد الشواهد على ذلك.

من حيث التعامل مع القوى الوطنية الأخرى:

تميّز أصحاب المشروع الإسلامي بالتعاون مع الآخرين، وإيجاد مساحة مشتركة، وزيادة الوعي لديهم بشمول هذه القضية لكل التيارات والهيئات، وأتاحت لهم مساحة من العمل المشترك وخدمة القضية؛ سواء ذلك في أنشطتها وفعالياتها أم في الدعم والتشجيع لما يصدر منها. أما أصحاب المشروع القومي، فمع وصولهم لسدة الحكم أو تبني الحكام لهذا المشروع؛ فكان يرفض مجرد وجود هذا التيار الإسلامي، وتحجج بشتى الوسائل لضربه بعنف، وإقصائه عن الساحة، ومنع صوته أن يصل للجماهير؛ حتى في هذه القضية الوطنية، فكان أصحاب المشروع القومي يحرصون على احتكار الساحة وإقصاء الآخرين، بل إن التجمعات والحركات التي خرجت من التيار الإسلامي وانشقت عنه قامت بعملية احتواء وتذويب لأي آثار إسلامية ما زالت باقية، والتركيز على الغزو الفكري لأفرادها، وما حدث لمشروع ففتح واضح على هذا النهج.

فلسطين .. الأرض والقضية

من حيث الخطوات العملية ومصادر القوة:

اعتمد المشروع الإسلامي وسائل عملية في جميع المحاور التي يعمل عليها من الدعم بكل أنواعه إلى المقاطعة إلى الضغط السياسي الجماهيري إلى المقاومة المسلحة المؤثرة.

كما أنه اعتمد على نفسه وعلى الرصيد الهائل لدى الأمة الإسلامية، ورفض أن يدخل لعبة الصراع السياسي بين القوى الكبرى داخل رؤيته أو ضمن آلياته التي يعتمد عليها، وفي هذه الفترة المحدودة التي عمل فيها ميدانياً كانت نتائجه مؤثرة أثارت الرعب عند اليهود، وأفزعت القوى الكبرى فتحرّكت لمحاولة إيقافه، والقضاء عليه بأيدي الحكام العرب؛ لكن إذا كان هذا قد أجّل وأثّر على المشاركة الميدانية الفعّالة للمشروع الإسلامي لفترة زمنية؛ لكنه قد عاد حالياً إلى الريادة والتوجيه والمقاومة مستمراً على نفس مشروعه وأهدافه.

أما المشروع القومي العلماني؛ فكان يحمل بذور الانهزامية في رؤيته، ويضيق مساحة القوة التي يستند إليها، وبالتالي أخذ يدخل لعبة التوازنات السياسية بين القوتين العظميين؛ ليشد إحدى القوى (المعسكر الشرقي الروسي) إليه، رغم أنه إستراتيجياً أيد قيام "إسرائيل" ودعّمها بالمهاجرين؛ لمعادلة انحياز القوى الأمريكية والغربية للكيان الصهيوني، ونسى أصحاب التيار أن لكل قوة مصالحها الخاصة، ورؤاها المتغيرة في هذا الميدان، وأن هذا الصراع له موازين أخرى لا علاقة له بالعاطفة أو كلمات المجاملة، وكانت النتيجة الهزيمة والخسران، وكل هذا كان يصبُّ في صالح الكيان الصهيوني.

من حيث المؤامرة والضغط التي تعرّض إليها:

إن حجم المؤامرة على المشروع الإسلامي كان أكبر وأعنف بكثير مما تعرّض له المشروع القومي؛ حيث تعرّض التيار الإسلامي لتآمر وعداء من الحكومات داخل أوطانهم، وكذلك من القوى الكبرى التي تعاديه.

فكانت هناك الإزاحة والضربات العنيفة القاسية لإقصائه والقضاء عليه إذا أمكن، ولما فشل ذلك ظهرت مع استمرار الضربات النوعية محاولات الاستدراج والاستيعاب وتذويب الهوية الإسلامية، ولو بالتدريج.

كما ظهرت محاولات بعض العناصر التسلق على أكتافه لتظل في الواجهة، وتحاول أن توظفه لحساباتها وأجندتها.. إلخ.

لكن كل هذه المحاولات فشلت بعد أن بلغ التيار الإسلامي النضوج والقوة والتميز في إثبات وجوده في المواجهة، وتطوير آلياته والسير نحو اكتمال مشروعه؛ ما جعل الجماهير تحتشد وراءه وتعلق آمالها عليه.

أما التيار القومي؛ فإن المؤامرات الدولية التي نجحت في استدراجه كانت بسبب أساسي لضعف رؤيته الإستراتيجية، وفشله العملي في اتخاذ الخطوات الجادة والاكتفاء بالشعارات والمناورات السياسية الساذجة.

من حيث النتائج والموقف الحالي:

المشروع الإسلامي ما زال على الطريق الصحيح لتحقيق كامل أهدافه، يحشد الأمة العربية والإسلامية وراءه، وهو إن كان الطريق طويلاً وفق هذه الإستراتيجية؛ لكنه الطريق الصحيح لإنهاء العدوان وهزيمة المشروع المعادي.

وثبات هذا المشروع حتى الآن رغم كل الضربات والمعوقات هو في حد ذاته انتصار كبير.

أما المشروع القومي فقد أقرّ بما ترفضه الأمة بشرعية الاحتلال الصهيوني ووجوده على أرض فلسطين وفي شرعية إقامة دولته.

وأصبح يحاول أن يحصل على بعض الحكم الذاتي لما يسميه دولة فلسطين منزوعة السلاح على جزء ضئيل من فلسطين، وحتى هذا ما زال حلمًا يحاول أن يمسك به.

والمراجع لما يطرحه المشروع القومي من شعارات وأهداف وهذا الواقع الحالي؛ يدرك الهزيمة الكاملة التي أحاقّت به.

وكذلك كانت رؤية المشروع القومي العلماني لخطورة الكيان الصهيوني على المنطقة رؤية محدودة انهارت عند أول احتكاك، وتبنى نفسه التعامل والقبول، بل وانهارت تمامًا نظريته للأمن القومي والأمن العربي، وتفككت أوصاله إلى تجمعات ونزاعات يلعب بها العدو، ويزحف على المنطقة كلها هذا المشروع الصهيوني الأمريكي؛ ليعيد تشكيل منظومة الأمن القومي العربي؛ لتصبح "إسرائيل" في القلب منه، وكذلك تمسك بالمنظومة الاقتصادية والسياسية في المنطقة كلها.

إننا عندما نتكلم عن هذا المشروع العلماني ونزن أداءه ونتائجه ورؤيته، لا يعني ذلك أنه ليس هناك أفراد مخلصون نتحدث عن تيار ومشروع تمّ طرحه والدعاية له، وأخذ فترة ليست قصيرة من مسيرة الأمة وحياتها وما زالت آثاره مستمرة.

فلسطين .. الأرض والقضية

خاتمة:

إن قراءة هذا الواقع نحتاجها؛ لكن لا تشغلنا عن العمل المتواصل وتوظيف كل الجهود والتعاون مع كل القوى والأفراد في سبيل تحقيق المشروع المتكامل لاستعادة فلسطين، مدركين أن هذه معركة أجيال، وأن المشروع الإسلامي بكل أبعاده هو المشروع المهيأ والمكافئ لهذا التحدي، وهو الصالح كمظلة للتعاون والمشاركة. وهذا بيان موجز بتاريخ التنازلات في القضية الفلسطينية في الفترة الأخيرة فقط.

قرار المجلس الوطني الفلسطيني في 15/11/1988 م: وأهم ما اشتملت عليه هو الاعتراف بقرار 242 الذي يتضمن التنازل عن 78% من مساحة فلسطين التاريخية، والاعتراف الضمني بدولة الاحتلال، وقد تم تمرير ذلك بإعلان الدولة الفلسطينية ليس على الأرض، ولكن في الهواء. **الرسائل المتبادلة بين "رايين" و"عرفات في 1993/9/9 م:** اعترفت منظمة التحرير بحق "إسرائيل" في الوجود، مقابل اعتراف "إسرائيل" بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني، ونبذ العنف ومواجهة فصائل منظمة التحرير التي تخرج على الاتفاق. **اتفاقية "أوسلو" في 13/9/1993 م:** دعت لتشكيل حكم ذاتي خاضع للاحتلال في مناطق (أ): إدارية وأمنية للسلطة الفلسطينية، و(ب) إدارية للسلطة الفلسطينية وأمنية للاحتلال، و(ج) إدارية وأمنية للاحتلال. وتأسيس شرطة فلسطينية قوية للتصدي للإرهاب الفلسطيني وبأسلحة خفيفة تُرخص من الاحتلال. على أن تناقش القضايا الأساسية؛ مثل القومي والحدود والمياه واللاجئين وغيرها بعد خمس سنوات. وقد ألحق بها بعد ذلك اتفاقية باريس الاقتصادية التي ربطت الاقتصاد الفلسطيني كلياً بالاحتلال. **اتفاقية القاهرة 1994 م:** حددت الخرائط المتعلقة بأوسلو.

اتفاقية تقسيم الخليل: تم تقسيمها إلى منطقة (H1) تحت سلطة الفلسطينيين. ومنطقة (H2) وهي منطقة الخليل القديمة، وسكانها حوالي 30 ألف نسمة تحت سلطة الاحتلال، واستيلاء اليهود على معظم الحرم الإبراهيمي. **قرارات شرم الشيخ في 13/3/1996 م:** تتعلق بالتصدي المشترك للمقاومة الفلسطينية (حماس والجهاد) تحت مسمى محاربة الإرهاب. **تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني:** في اجتماع المجلس الوطني عام 1996 م، وعام 1998 م تم شطب وإلغاء بنود الميثاق التي تتحدث عن الحدود التاريخية لفلسطين، وعن الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين. **إقرار المبادرة العربية عام 2002 م:** تدعو للاعتراف بدولة الاحتلال والتطبيع العربي ثم الإسلامي، وحل قضية اللاجئين بالمفاوضات والتفاهم، مقابل دولة على حدود 4 يونيو 1967 م. **خارطة الطريق عام 2004 م:** ألزمت السلطة الفلسطينية بمحاربة قوى المقاومة، وتفكيكها تحت عنوان محاربة الإرهاب، مقابل وقف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية وهو ما لم يتوقف للحظة واحدة حتى تاريخه.

اتفاقية معبر رفح في نوفمبر 2005 م:

ربطت المعبر بالهيمنة الصهيونية مع أن شارون فكك مستوطنات قطاع غزة، وأعلن الانسحاب من طرف واحد.

تفاهات "أنابوليس 2007 م":

مهدت لمفاوضات عبثية بين أولمرت وعباس، وبين قريع وليفني تحت وهم الدولتين، حسب وعد جورج بوش الوهمي في نهاية عام 2008 م (الماضي)، وقد تم في هذه الفترة توسيع وتدريب شرطة السلطة تحت إشراف الجنرال دايتون من أجل التصدي للمقاومة الفلسطينية (حماس والجهاد.. إلخ)؛ حيث تم الزج بالمئات في السجون. وكذلك التنسيق الأمني بين شرطة عباس وجيش الاحتلال، والتفاهم على نشاط الاحتلال في ساعات الليل ونشاط شرطة عباس في ساعات النهار.

شروط الرباعية الدولية:

الاعتراف بـ"إسرائيل" ونبذ العنف (المقاومة) والتقيّد بالاتفاقيات السابقة؛ حتى يتم الوفاق والاتفاق والبدء بإعادة إعمار قطاع غزة ورفع الحصار وفتح المعابر.

نظرة على الواقع الحالي

هل نحن بحاجة إلى مشروع جديد؟

قد يتساءل الناظر للواقع الحالي لميدان المواجهة مع العدو الصهيوني: هل هناك حاجة لمشروع جديد؟

نقول: إن الساحة ليست خالية أو المقاومة ليست مفقودة حتى نبدأ بالبحث عن مشروع جديد بعد هذه المرحلة الطويلة من الجهاد.

وإنما ننظر ونقيّم واقع المشاريع والتيارات العاملة في الساحة، وبنظرة علمية محايدة نجد أن المشروع الإسلامي المتكامل الذي وضعه الإمام الشهيد ما زال هو المشروع الفاعل في الساحة، وأنه هو الذي يقود الأمة في هذه المواجهة، وأن له الريادة والتميز في ذلك، إذا أخذنا شمول رؤيته وتنوع واتساع مساحة الصراع الذي يخوضه، ومدى ثبات أصحاب هذا المشروع وانتشارهم، ومدى كفاءتهم لهذا التحدي، وما يمتلكونه من تجربة وتاريخ.

إن التقييم العملي لهذا الأمر يقوم على نقاط محددة:

هل ما زال هذا المشروع موجوداً في الساحة أم لا؟

وهل هو يتقدم أم يتراجع؟

وهل ما زالت منطلقاته وأهدافه ثابتة أم طرأ عليها التغيير والتبديل؟

وهل يأخذ بشمولية الحركة في الصراع والمواجهة أم يحصر نفسه في محور واحد؟

وما هو مقدار ثباته أمام عامل الزمن، واختبار الضغط والابتلاء وتجاوز المؤامرات؟

هل هو قادر على الاستمرار والعمل في جميع الأحوال والأجواء؟

وهل رؤيته الشاملة مكافئة للواقع والمستقبل؟

ثم تقييم مدى ما قدمه، وحجم التضحيات التي قدمها، واستمرار أجياله في تبني مشروعاتها لا تحيد عنه، ومدى انتشار هذا التيار في الأمة ومدى

تأثيره.

إن الإجابة على تلك النقاط لتؤكد لنا نظرياً وعملياً أن المشروع الإسلامي المتكامل الذي أسسه وأطلقه الإمام الشهيد ودفع حياته في سبيل الله من أجله؛ هو المشروع الرئيس الرائد في تلك المواجهة، وأنه المشروع المكافئ والمناسب لهذا التحدي، ليس فقط من خلال إنجازاته العملية الواقعي، وتواجهه المؤثر بالنسبة للتيارات والمشاريع الأخرى، وإنما لأنه ينطلق من ثوابت الإسلام وأهدافه، وبالتالي لا طريق غيره إذا كنا جادين في تحمل المسؤولية وأداء الأمانة والقيام بما أوجب الشرع، ويصبح الجهاد المطلوب ينصب على كيفية تطبيقه والسير بهذا المشروع الإسلامي، وليس مطروحاً أن نبحث على غير هدى عن مشروع آخر، أو نراجع ثوابتنا ومنطلقاتنا وأهدافنا.

إننا لا نمانع من الاستفادة من أي إنجاز ومن أي فرصة ومستجد حتى لو من الأعداء - لكن هذا يكون في الفروع والوسائل وليس في المنهج والأصول - ويصب في النهاية في خدمة المشروع الأصل.

مع مشروع الإخوان

بشأن قضية فلسطين

لم يتناول الإمام الشهيد مشروعه الإستراتيجي بشأن القضية الفلسطينية كمشروع منفصل، وإنما جعله ضمن المشروع الإسلامي المتكامل الذي يعمل له، وأعطى فيه للقضية وضعها المناسب وثقلها المهم.

وقد وضع له أهدافاً واضحة ومسارات محددة، كذلك كانت قراءته للواقع دقيقة ومبكرة، وإجراءاته لمواجهة هذا الواقع عملية ومكافئة، واستشرافه للمستقبل وقراءة ما يحمله غير غائبة.

وكان - رحمه الله - يُدرك مراحل القضية وتطوراتها المستقبلية وحجم التضحيات المطلوبة، وكيف تواجه الجماعة ذلك، كان يدرك بوضوح أن الجماعة كلها مستهدفة، وأن رأسه على الأخص مستهدف؛ كمحاولة من قبل القوى المعادية لإيقاف الجماعة، وإبعادها عن القضية، وقد نال - رحمه الله - الشهادة في سبيل ذلك.

وفي السطور القادمة نحاول أن نلقي نظرة إجمالية موجزة، فيها بعض التحليل والدراسة عن دور الإخوان الذي سبق أن أشرنا إليه بإيجاز.

فلسطين .. الأرض والقضية

الأسس التي تقوم عليها الرؤية الإستراتيجية للمشروع الإسلامي:

- حدّد الإمام الشهيد أسس ومنطلقات دائمة ومستمرة، يقوم عليها المشروع الإسلامي في التعامل مع القضية الفلسطينية، نشير بإيجاز إليها:
- 1- وضع القضية الفلسطينية في وضعها الصحيح ضمن المشروع الإسلامي المتكامل الذي تحمله، وتعمل له الجماعة؛ فهي قضية محورية ومعركة الإسلام الأولى في ذلك العصر.. وهي في نفس الوقت ضمن المحاور الأساسية لهذا المشروع، والذي يجب أن يسير متوازياً في جميع محاوره.
- 2- أن العمل على هذه القضية طوال مسيرة الجماعة؛ سيحتاج إلى تضحيات كثيرة، يجب أن تعد الجماعة نفسها لها، ولا تُوزن هذه التضحيات بحجم الفائدة منها، وإنما بأهمية الحدث والموقف ومسئولية الجماعة في المواجهة.
- 3- أن تحرص الجماعة على استمرار مشروعها في المواجهة مهما قلّت الإمكانيات، وألا تُستدرج من قبل الأعداء؛ فيتمكنوا من إنهاء حركتها أو إشغالها بعيداً عن أصل القضية.
- 4 - الحرص على الثوابت والمبادئ في هذه القضية، والثبات عليها مهما كانت الضغوط، ومهما ضعفت الإمكانيات.
- 5 - أن المعركة طويلة جداً، وستشمل أجيالاً عدة، وأن الأمر يحتاج إلى النفس الطويل وإلى خطوات متدرجة.
- 6 - أهمية بقاء روح المقاومة والجهاد مشتتة في النفوس؛ حتى وإن سُجن أفراد الجماعة أو مُنعوا من التحرك العملي للتعبير عن ذلك.
- 7 - أهمية إيقاظ الأمة وإشراكها وحشدتها في هذه القضية، والتركيز على المنطلق الإسلامي، ومساندتها لهذا المشروع (مشروع المقاومة والجهاد لهذا العدو المغتصب).
- 8 - أهمية وضوح الثوابت الإسلامية في هذا الأمر؛ مهما علا صخب المشروعات الأخرى، وما تحمله من شعارات براقّة تبتعد بها عن هذا الأصل، وتلك الرؤية الإسلامية.
- 9 - إخراج القضية عن مجرد حصرها في الفلسطينيين والأمة تساعدهم، إلى الرؤية الإسلامية بأنها قضية كل مسلم؛ فهي قضية الأمة الإسلامية جمعاء، لا يملك أحد أن يُفرط فيها حتى ولو تخلّى عن هذه الثوابت أهلها.
- 10 - أن تكون الرؤية الإستراتيجية في المشروع الإسلامي هي الحاكمة والموجهة لأي عمل أو تكتيك أو سياسة متبعة.
- 11 - عدم الانخداع بالمؤسسات الدولية، والتلويح بسياسة المفاوضات والحلول الجزئية، أو القبول بأن ذلك هو البديل متاح.
- 12 - اليقين والأمل في نصر الله؛ مهما أحرز الأعداء من نجاح أو طال الزمن.

منهجية الإمام الشهيد وما تميّز به:

- تميّز الإمام الشهيد بمنهجية واضحة؛ سواء في تعامله مع الآخرين، أو في تعامله مع الأحداث والمواقف، أو في تناوله للأمور بصفة كلية. فنرى في تعامله مع الآخرين الحرص على التواصل مع كل القوى السياسية والوطنية والمؤسسات والحكومات العربية... إلخ. وإيجاد مساحة مشتركة للتعاون مع توضيح أبعاد هذه القضية لهم ومساحة الخطر التي تشمل الجميع، وكذلك استخدام وسائل النضال السلمي والشعبي لدفع الحكومات إلى اتخاذ مواقف إيجابية وتقوية ظهرها أمام الضغوط الأجنبية، مع الحرص على احترام القانون والدستور، وعدم الوصول إلى حالة الفوضى أو الصراع.
- الحرص على دعوة الإخوة المسيحيين، وإشراكهم كأبناء وطن واحد في هذه القضية المهمة، وكان الإمام الشهيد في أكثر من بيان يوجه نداءه "إلى الإخوة المسيحيين الأعضاء.."، وقد شاركوا الإخوان في المؤتمرات والمظاهرات، وألقوا الكلمات.

ومن المميزات التي ظهرت في أسلوب تعامل الإمام الشهيد مع الموقف نذكر:

- 1- الإدراك العميق لأبعاد هذه القضية:
- أ- كان هذا الإدراك مبكراً ومستوعباً لمدى خطورة هذا المشروع الصهيوني وأهدافه، ولم يتعامل مع الاحتلال الإنجليزي لفلسطين كمجرد استعمار لبلد إسلامي.
- ب- الإدراك العميق لمن يقف وراء هذا المشروع ويسانده بقوة من اليهودية العالمية والقوى الكبرى.
- ج- الإدراك العميق لواقع الأمة الإسلامية حكماً ومحكوماً.
- د- الإدراك العميق لطول المواجهة واتساعها واستمرارها أجيالاً متتابعة.

فلسطين .. الأرض والقضية

- 2- القدرة على تحويل الرؤية الإستراتيجية إلى منهجية وإجراءات عملية في الواقع:
- أ- بناء جيل رباني قوي، يفهم القضية بعمق ويحافظ على ثوابتها، ويجعلها في أهدافه الرئيسية، ويعمل لها في كل الظروف والأحوال، ويتواصل في ذلك جيلاً بعد جيل.
- ب- التركيز على الشعوب العربية والإسلامية بكل طوائفها، وإيقاظها وتوعيتها وإشراكها في العمل لهذه القضية، وعدم الاعتماد على الحكام في ذلك، وإنما محاولة التأثير عليهم لتحقيق بعض الاستفادات.
- ج- إرساء معالم المقاومة بكل أبعادها، وتأكيد استمرارها رغم كل الظروف؛ حتى وإن ضعفت الإمكانيات.
- د- القدرة على التصدي لكل محاولات الخديعة، أو المساومة، أو الاستدراج للانحراف عن الأهداف، أو الثوابت والمنطلقات الإسلامية لهذه القضية؛ مهما كان الإغراء أو اشتد الضغط والإيذاء.

3- إتباع سياسة شاملة في الحركة والمواجهة:

- أ- جعل القضية محوراً أساسياً ضمن مشروع إسلامي متكامل.
- ب- الاهتمام بالبناء الفكري والرؤية الإسلامية؛ لتأكيد الوعي وتحصين الأمة.
- ج- عدم اقتصر المقاومة على مجال أو شكل واحد، وإنما بكل أبعادها وجوانبها.
- د- الحرص على شمول ذلك للأمة الإسلامية وشعوبها وأجيالها.
- هـ- الاهتمام بالبنية التحتية للمقاومة.
- و- الاهتمام بالأمل، وترسيخه لدى الأمة؛ مهما طال زمن المعركة أو تأخرت النتائج.
- ز- العمل على كل المحاور والأصعدة المحلية والدولية.

رؤية الإمام الشهيد وتطور الأحداث في القضية:

كان للإمام الشهيد رؤيته الثاقبة التي لا تخدعها الشعارات الحماسية أو ضجيج الأحداث، فمع كل المجهودات التي بذلها والمئات من شباب الإخوان الذين زحفوا إلى فلسطين، رغم كل المعوقات التي واجهتهم، إلا أنه أدرك أن هؤلاء الصهاينة اليهود سيتمكنون من الاستيلاء على فلسطين في تلك المرحلة، بل أدرك ذلك مبكراً، عندما عاد رسله من فلسطين بتقرير يؤكد أن الدولة اليهودية قائمة لا ينقصها إلا الإعلان عنها. لكن بفضل الله نجح في وضع الأمة الإسلامية على الطريق الصحيح للمقاومة، ورسخ فيها الرؤية السليمة للمواجهة، وأعدّ جماعته ومشروعه الإسلامي لمعركة طويلة، تمتد أجيالاً لتحسم فيها تلك القضية المهمة وتُبطل المشروع الصهيوني.

يقول رحمه في عام 1948م عندما كانت تأتيه أنباء المعارك، ومن استشهد فيها:

"إن "إسرائيل" ستقوم؛ لأن حركتها حركة عقيدة، إن الطريق طويل.. طويل رهيب وهذا الدم العزيز المسفوح (أي يقصد دماء الشهداء) لا يعوض، والمعركة الكبرى معركة الإسلام التي ربينا لها هذا الشباب لا تزال أمامه، أما "إسرائيل" ستقوم وستظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام كما أبطل غيرها؛ وذلك طريقنا الذي لا يجوز أن نفتن عنه وجوه المعارك والبطولات، إننا أصحاب رسالة ترفض الأمل الكاذب في سياسة لا يحكمها الإسلام، وفي كل جهاد لا تحكمه كلمة الله، وإن على شعوبنا أن تميز بين ذوي العقيدة المجاهدين وبين عبث المتحللين من ساسة وعسكريين، وإننا إنما نحتسب هذا الدم العزيز المسفوح إغداراً إلى الله.. وتذكيراً لهذه الأمة إن كانت تنفع الذكرى".

ولقد كان الإمام الشهيد يعلم جيداً ما سترتب على ظهور الإخوان بإمكانياتهم داخل المجتمع، وفي ساحة القتال، وقدرتهم على مواجهة اليهود، وكان يدرك حجم الضربة التي ستوجه للدعوة والجماعة وهو على رأسها، ولكن الأمر يمثل مبدأً وعقيدة لا يجوز التراجع فيها أو السكوت عنها.

هل تراجع المشروع الإسلامي بعد استشهاد حسن البنا؟

بالنظر إلى حجم الفعاليات التي تحرّك بها الإخوان في حياة الإمام، وحجمها بعد استشهاده قد يُظن بأن المشروع الإسلامي قد تراجع؛ لكن هذه الرؤية السطحية لا تضع الواقع الخارجي والضغط التي كانت تمر بها الجماعة في الاعتبار، وكذلك لا يوجد تحت يديه الكثير من الأعمال والأنشطة التي كانت تتم في هدوء، دون إعلان ظاهر لدور الجماعة فيها.

فلسطين .. الأرض والقضية

إن المقياس هنا في هذه الظروف لا يكون بحجم الأعمال وقتها، وإنما بمدى التمسك بالثوابت، والعمل وفق المشروع الإسلامي، وإكسابه الروح التي يحتاجها والعزيمة التي يتطلبها والإعداد الجيد المستمر.

فمع تصاعد الأحداث في بداية عام 1949م، وتوجيه ضربة أمنية قوية للإخوان في مصر؛ أرسل الإمام الشهيد للمجاهدين في فلسطين ألا يشغلهم ما يحدث في مصر، وأن مهمتهم هناك لم تنتهِ بعد، ثم تصاعدت الضربات باغتيال الإمام الشهيد والزج بآلاف الإخوان في السجون بل واعتقال المجاهدين، ولم تمضِ مدة قليلة حتى جاءت محنة 1954م عنيفة متصاعدة، تستهدف إقصاء الجماعة، والقضاء عليها تمامًا، مستخدمة القتل والتعذيب والتشريد والسجن الطويل الذي امتدَّ حوالي ربع قرن.

لكنَّ أفراد الإخوان ومجموعاتهم الصغيرة الذين نجوا من محرقة الاعتقالات؛ وصلوا حمل السلاح ومقاومة اليهود بعمليات فدائية في صحراء النقب، وانطلاقاً من غزة، رغم توجيه النظام الناصري أكثر من ضربة لقيادتهم في غزة، فاعتقل الشيخ أحمد ياسين، وكذلك هاني بسيسو الذي تُوفي في السجن، وكانت هذه العمليات تسبب إزعاجاً للعدو الصهيوني، والذي اشتكى من ذلك مراراً قبل حرب 1967م، وفي منتصف الخمسينيات تعرَّض الإخوان في غزة لاختبار شديد بانفصال مجموعة من شباب الإخوان هناك تحت اسم مشروع "فتح" منهم (خليل الوزير - صلاح خلف - ياسر عرفات.. إلخ).

وعقب حرب 1967م والهزيمة التي حدثت خفت القبضة الحكومية على نشاط الإخوان وحركتهم قليلاً فتحرك الإخوان، وأقاموا معسكرات لهم في الأردن تحت اسم "فتح"، مستفيدين من شرعية هذه اللافتة، وعُرفت هذه المعسكرات بمعسكرات الشيوخ، وكانت تتكون من سبع سرايا، وشارك فيها إخوان من مختلف الأقطار.

وكانت لهم عمليات متميزة داخل الأرض المحتلة، وخاضوا معارك مهمة؛ من أهمها معركة "الكرامة"، معركة "المشروع" أو الحزام الأخضر عام 69، معركة 5 يونيو 1970م، و عملية سيد قطب عام 1970م، وبلغ شهداء الحركة الإسلامية في هذه المعارك ثلاثة عشر شهيداً؛ منهم الأخ صلاح حسن من إخوان السيدة زينب بمصر.

ومع مناخ الانفتاح الذي حدث في عام 1973م ازداد نشاط الإخوان في مصر وفلسطين، وأسس الشيخ أحمد ياسين المجمع الإسلامي عام 1973م في غزة، وفي أوائل الثمانينيات تمَّ تحديد الرؤية العملية لتفعيل المقاومة ضمن مشروع جهادي متكامل متعدد المراحل. ففي عام 1982م في إحدى الدول العربية تمَّ عقد مؤتمر لرجال الحركة الإسلامية في الضفة وغزة والمهجر، وتم وضع الخطوات اللازمة لذلك وتنشيط استكمال بناء البنية التحتية والقاعدة الشعبية التي تحتاجها، مع تصعيد في العمل الجهادي الذي سبب للعدو داخل فلسطين الكثير من الإزعاج، وفي عام 1984م اعتقلت السلطات الصهيونية الشيخ أحمد ياسين مع مجموعة من القيادات بتهمة المقاومة المسلحة، وحُكم عليه بالسجن 13 عاماً، أمضى منها 11 شهراً، ثم خرج ضمن صفقة تبادل للأسرى؛ لكنه في أثناء السجن عام 1984م مع قيادات الحركة اتخذت القيادة قرارها بمشروع الانتفاضة والمقاومة الشعبية، وبدأوا في الخطوات والإجراءات التمهيدية.

وفي ديسمبر 1987م إثر حادث جباليا، وتظاهر الفلسطينيين بالمخيم بشأنه، في مساء ذلك اليوم؛ التقت قيادات الحركة بغزة في منزل الشيخ أحمد ياسين، وأصدروا قرار إشعال الانتفاضة، والبدء بالتصادم مع قوات الاحتلال، وتصعيد ذلك وحشد الشعب في هذا الاتجاه، وبعد أسبوع من الفعاليات الناجحة تمَّ إعلان البيان الأول للانتفاضة، وإشهار حركة المقاومة الإسلامية حماس، ثم تطوير الانتفاضة إلى انتفاضة مسلحة، والدخول في المواجهة العسكرية مع العدو الصهيوني، وإبرأكه وتكبيده الخسائر؛ رغم التضحيات الضخمة التي استشهد فيها أجيال من قيادات الإخوان هناك.

وفي مصر انطلق الإخوان يعيدون تعبئة الشعب المصري وتوعيته بهذه القضية، والدور المطلوب منه، ومنذ عام 1977م وما بعده؛ وهم يتعرضون للتهديد والإغراء بالسكوت على "كامب ديفيد"، أو "اتفاقية السلام" مقابل عدم التصييق عليهم، لكن رفض الإخوان ذلك، واستمروا في مشروعاتهم؛ ما عرضهم للاعتقالات والتضييق، واستشهد داخل السجن كمال السناني، وغيره من الإخوان.

ورغم استمرار أسلوب التضييق والحصار، وتصاعد الضربات الأمنية لهم، إلا أنهم استمروا في التحرك الواعي لدعم القضية، ومساندتها بكل الوسائل رغم الآلاف الذين تمَّ اعتقالهم وحبسهم أكثر من مرة، ورغم المحاكمات العسكرية المتكررة لقياداتهم.

وأصبح اليوم المشروع الإسلامي الذي يقوده الإخوان هو الذي يواجه العدو الصهيوني ومشروعه التوسعي، وكذلك يواجه المشروع الأمريكي ويعرقل الكثير من فعالياته.

فلسطين .. الأرض والقضية

ضغوط ومنزلاقات

واجهت الإخوان:

- لقد واجه الإخوان ضغوطاً ومنزلاقات كثيرة ثبتوا أمامها، كانت كفيلة بجعلهم ينصرفون عن مشروعهم أو على الأقل يؤجلونه، ومن ذلك:
- 1- أول هذه الأمور كجزء من واقع الأمة؛ هو انصراف الشعب والحكومة عن تلك القضية، فكان على الجماعة أن تبذل جهوداً مضاعفة لتوعية الأمة وإرغام المسؤولين على الاستجابة لشعوبها، فانتشروا في المساجد، وجابوا البلاد طولها وعرضها، وأخرجوا المظاهرات، وأقاموا المؤتمرات حتى تحرك الشعب واستجابت الحكومة لضغوطه إلى حد ما.
 - 2- أنه مع معرفة نتيجة المعركة وقدرة العدو على النجاح في الاستيلاء على فلسطين، ووضوح حجم التضحية التي ستقدمها الجماعة، وما يترتب على ذلك من مواجهة إلا أن قرار القيادة بالدخول العسكري المباشر في المعركة؛ كان قراراً وفق إستراتيجيتها ووفق أهدافها ورؤيتها الإسلامية.
 - 3 - عندما تمّ شن حملة الإبادة والإقصاء للجماعة وأفرادها، خاصة في مصر وغزة؛ حرصت الجماعة على استمرار رؤيتها الإسلامية، وعلى استمرار روح المقاومة والجهاد وتربية أفرادها عليها، بل والمشاركة العملية؛ حتى ولو كانت فردية أو صغيرة إذا أتاحت لها فرصة في ذلك.. وإن الراصد لهذه المرحلة ليندهش كيف تحرص الجماعة على ذلك، رغم الحرب الضروس عليها، وتغييب أغلب أفرادها وقيادتها داخل السجون ومطاردة الباقين خارجة.
 - 4 - طول الوقت الذي كان لازماً لإرساء البنية التحتية لمشروع المقاومة، والذي يجب أن يستمر رغم الفرقات الإعلامية من المشاريع الأخرى، والضغوط على الجماعة لاستعجالها أو اتهامها بالتقصير والخوف.
 - 5 - عندما تمّ اختبار مدى تمسكها بإستراتيجيتها وثوابتها الإسلامية في الحركة؛ وذلك عند انشقاق المجموعة التي أسست "فتح". وقد تقدّم به مجموعة من شباب الإخوان في 1957م على رأسهم خليل الوزير، وهو يستهدف التركيز على الجانب العسكري للمقاومة، ولا يشترط الأهداف والمنطلقات الإسلامية أو البرنامج التربوي الإسلامي، وعندما رفضت القيادة في غزة تأسست عام 1958 حركة "فتح"، واستثمروا المساحة المشتركة وغموض العلاقة في استنزاف وضم أعداد غير قليلة من الإخوان؛ لكن في عام 1960م تمّ عقد لقاء بين ممثلي الإخوان الفلسطينيين في غزة وفي المهجر العربي لتحديد العلاقة مع "فتح" والفصل التام بينها وبين الإخوان، وتحديد قيادة مشتركة للإخوة الفلسطينيين داخل وخارج الأرض المحتلة...
 - 6 - تعرضت الجماعة للمساومة على مشروع المقاومة بمكاسب سياسية، مقابل التنازل عن بعض الثوابت واستخدام الحصار وشتى الضغوط لتحقيق ذلك؛ لكن فشلت كل تلك المحاولات أمام صمودها وثباتها.
 - 7 - الزخم الإعلامي الذي حظيت به المشاريع الأخرى التي لا تتبنى الرؤية الإسلامية، وتأثير ذلك على أفراد الصف وعلى القيادة التي كانت تُعطي أولوية للبنية التحتية وتجهيز الأرض لمقاومة فعّالة مستمرة.
- كان الإخوان أيضاً يُحذرون من أمرين في طريق تناول القضية على مستوى حكام الأمة العربية:
- أ- إخراج أهل فلسطين من معادلة المواجهة والصراع وإهمالهم؛ بحجة تولي الحكومات العربية هذا الملف، وكان هذا في الفترة الأولى.
 - ب- والطريقة الأخرى وإن كانت عكس ذلك، وهي حصر القضية في أهل فلسطين، وإلغاء البعد العربي الإسلامي وتضييق دوره إلى مجرد مساعدة معنوية، وكان هذا هو السائد حتى عصرنا الحالي، بل تم حصر تمثيل وقيادة الشعب الفلسطيني في فصيل واحد، تفاهموا معه على كيفية إنهاء القضية وتهذئة الأحوال وتقديم التنازلات.

ظاهرة متلازمة في مسار الأحداث:

- في حياة جماعة الإخوان المسلمين السياسية ظاهرة متلازمة، وإن كان ليس لدينا الآن وثائق لكشفها؛ لكن تكرارها يؤدي إلى تأكيدها، وهي:
- التلازم بين التضييق والمحن التي تمر بها الجماعة، مع توسع نشاط الكيان الصهيوني.
 - ففي عام 1949م تم توجيه ضربة قوية للجماعة، واغتيال قائدها الإمام الشهيد؛ ليتمكن الكيان الصهيوني من فرض سيطرته على أرض فلسطين.

فلسطين .. الأرض والقضية

- وفي عام 1954م دخل الإخوان المسلمون في مصر في محنة شديدة، وتم حل الجماعة وطورد أفرادها، وبعدها في عام 1956م تم احتلال سيناء، وانتزاع قرية أم الرشراش منها (ميناء "إيلات" الآن)، وفتح خليج العقبة أمام الكيان الصهيوني.
- وفي عام 1965م أعيد نفس السيناريو وبنفس الضراوة، ثم حدثت هزيمة 1967م، وضاعت غزة والضفة والقدس والجولان وباقي سيناء.
- وكذلك في عام 1981م في عقد معاهدة السلام وفرضها على الشعب المصري كانت الاعتقالات للإخوان، وفي عام 1995م سلسلة المحاكمات العسكرية في وقت قام العدو بتوسيع حدود مدينة القدس، وأعلنها عاصمة أبدية له.
- وهكذا مع كل جولة وضربة توجه للجماعة؛ نجد نشاطاً متزايداً للعدو الصهيوني وحملة جديدة ضد الإخوان، تبدأ بنشر الأكاذيب لتضليل الرأي العام ثم الاعتقالات.

الرؤية بشأن التعامل مع الواقع:

- 1- إن المعركة القادمة والمستمرة بين الأمة وهذا المشروع الصهيوني- الأمريكي ستستمر لعدة أجيال، ولا يمكن حسمها في جيل واحد، وأن مصادر قوة المشروع الإسلامي تتبلور في يقينه بالله وبالأمل في تأييده ونصره وتحقيق أهدافه.
إن ربانية هذه الدعوة قد لا يفهمها البعض، لكن في تاريخ الأنبياء وفي مصارع الطغاة الظالمين دليل وبرهان على ذلك.
- 2- إن ما أنجزه التيار الإسلامي على أرض الواقع رغم الفجوة الضخمة في الإمكانيات، ورغم اتساع صف الأعداء وقدرتهم على توظيف شريحة ونخبة من حكام وكتاب الشعوب الإسلامية لصالحهم وضد التيار الإسلامي، ليعتبر بفضل الله نصرًا مبينًا، بل وشكلًا صدمة للأعداء ومن معهم الذين ظنوا غير ذلك... وإن ثبات هذا التيار الإسلامي واستعصائه على الاستئصال أو الإقصاء ليعتبر إنجازًا ومبشرًا ومقدمة للنصر الكامل بإذن الله.
- 3- إن المشروع الإسلامي يركز في هذه المرحلة على الشعوب وما يتعلق بها من مؤسسات وكيانات جماهيرية وأن تنتقل القضية والاهتمام بها وبكل أبعادها من جيل إلى جيل.
- 4- إن هذه المرحلة تشكل مرحلة الصمود والثبات وتأسيس العقيدة وتوعية وتوظيف الأمة الإسلامية، وأن يستمر لديها اليقين بحتمية الانتصار وتحقيق وعد الله عز وجل لها... وإن مظاهر تفاعل الملايين من الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها عند كل حدث يمسّ أرض فلسطين؛ يؤكد نجاح هذه المرحلة والتي لا بد أن تتواصل لتنتقل للمراحل الأخرى حتى تأتي مرحلة الحسم والمعركة النهائية.
- 5- وبالنسبة للحكومات، فلا تعول عليها هذه المرحلة كثيرًا، وإنما تستخدم وسائل الضغط السلمية وطرق الإقناع المختلفة، لمحاولة توجيهها للتصدي للخطر أو عدم التجاوب مع مخطط الأعداء.
- 6- إن الأعداء الغاصبين لهم دولة قوية يدعمها المشروع الأمريكي الغربي بكل قوة، ونعلم جيدًا أنه لن يبطلها وينهي وجودها إلا دولة إسلامية قوية بمعنى الكلمة، تقف معها كل الأمة العربية والإسلامية، لكن هذه المرحلة الطريق إليها يكون عبر مشروع متكامل متدرج يواصل المواجهة بوسائل متعددة في الحركة وقدرة على التعامل في الميدان.. ويضع التيار الإسلامي قناعاته في مقدرات الأمة الإسلامية، وأنها من الحجم والقدرة بما يجعلها قادرة على دحر هذا العدوان، وذلك إذا تم إيقاظها وبث الروح فيها من جديد، وحسن توجيهها وتوظيفها.
- 7- إن أصحاب التيار الإسلامي ليدركون سنن التاريخ وقواعد التغيير في الكون، ويدركون جيدًا مصادر القوة عند الأمة الإسلامية، كذلك عوامل الضعف والانهيار عند الجبهة المعادية حتى وإن لم تظهر نتائجها، وأن دورة التاريخ لقادمة بإذن الله، لكن هذه السنن يستفيد منها العاملون المجاهدون لا القاعدون المتكاسلون.
- 8- من الأهمية بمكان ترسيخ عقيدة المقاومة لهذا الكيان الغاصب، وأنه لن يتم دحره إلا بالقوة بكل أنواعها، وأنه مهما كانت مساحة المقاومة وتأثيرها صغيرًا أو ضعیفًا؛ فإن وجودها كأصل واستمرارها ودعمها لتتطور بعد ذلك ليشكل مرتكزًا أساسيًا في الرؤية وفي الاستراتيجية.

9- ترفض الرؤية الإسلامية العمل بأسلوب رد الفعل فقط، أو الفورات المؤقتة التي تنشط وتهدأ كل حين، وإنما هناك أهداف أساسية ووسائل مستمرة متدرجة للوصول لهذه الأهداف وتحقيقها على كل المستويات الفردية والمؤسسية والشعبية.

منهجية التعامل مع المرحلة الحالية:

- إن واجب المرحلة وفرضية الوقت ومتطلبات المشروع الإسلامي تقتضي منا العمل على هذه المحاور:
- 1- أن نستمر على هذا المشروع الإسلامي المتكامل بكل محاوره، وأن نلتف حوله الأمة كلها، وأن تكون قضية فلسطين في القلب منه بمنطلقاتها الإسلامية وأهدافها الشاملة.
 - 2- أن نحرص في هذه المرحلة على تعميق الوعي لدى الأمة والشعوب الإسلامية، وبناء القناعات الراسخة لديها في هذا الميدان لكل شرائحها، وجيلاً بعد جيل، ليس ذلك قاصراً على التيارات الإسلامية وإنما شاملاً لكل الأمة، مع تقوية ذاكرة الأمة حتى لا تنسى، وتقوية مناعتها ضد الكيان الغاصب الذي أجرم في حقها.
 - 3- أن يتحول الوعي وتلك العقيدة إلى إرادة قوية وإلى تحرك عملي يصب في كل المحاور وبكل الوسائل المطلوبة.. لا بد أن يتبلور ذلك على المستوى الجماهيري والفردى، وأن ينبثق عنه مؤسسات وجمعيات وكيانات أهلية شعبية، ودولية، تساهم في متطلبات تلك المرحلة وتحافظ على الفعاليات المناسبة.
 - 4- هذه المرحلة التي نحن فيها تركز على الأمة والجماهير، حيث إن الحكومات خرجت عن هذا المسار، وتعاون أغلبها مع الأعداء، لكن وبإذن الله سوف تلحق بهذا الركب في المستقبل عندما يتم إصلاحها بحق ضمن مراحل المشروع الإسلامي.
 - 5- لا بد أن ننقل من واقع العواطف والكلمات إلى واقع الحركة الجماهيرية عند الأحداث والمواقف، ولا بد أن ننقل من مجرد التعبير وتفرغ الطاقات إلى وسائل ضغط وتوظيف للإمكانات؛ لتصب في صالح المقاومة والصمود.
 - ولا بد أن يكون لذلك رأساً موجهاً وليست حركة وتعبيراً عفويًا يهدأ وينشط كل فترة.
 - 6 - ولا بد أن يشمل التحصين والتوعية ضد المساومات والاستدراجات ليصل وعي الأمة إلى أعلى مراحل النضج، وأن تتمكن من التمييز بين المجاهدين والمخلصين، وبين عبث المتاجرين بالشعارات .
 - 7- وأن يصل هذا الوعي إلى الإيجابية والذاتية في حركة الأفراد والكيانات والجماهير؛ لأنها أصبحت قضيتها، تتفاعل معها وتعمل لها باستمرار.
 - 8- التنبه واليقظة لمحاولات العدو الصهيوني هدم المسجد الأقصى أو تقسيمه وبناء هيكلم المزعوم، حيث بدأت خطتهم في التسارع بهذا الشأن مستغلة ضعف الدول العربية وكثرة الصراعات فيما بينها، لهذا لا بد من إجراءات وخطوات رادعة وردّ فعل جماهيري قوي على مستوى الأمة يجعل العدو يعيد حساباته من جديد.
 - 9- التأكيد على مشروع المقاومة ودعمها وترسيخ مسارها في المعركة وتوسيع قاعدتها والتعاون مع كل فروع وتيارات المقاومة؛ لبناء مرجعية ثابتة وداعمة لها، تستمد تأييدها ودعمها من عموم الشعب الفلسطيني ومن جماهير الأمة العربية والإسلامية، وتحقيق التنسيق والتعاون ثم الوحدة فيما بينها.
 - 10- الحرص على وحدة الصف الفلسطيني، ولكن لا بد أن تكون هذه الوحدة على ثوابت القضية- وليست وحدة أجسام قلوبها وأهدافها متباعدة ومتناقضة- والأصول الثابتة، فمن شدّد عن الأصول والثوابت شدّد عن الصف وعن الوحدة، وستلفظه الجماهير، وسيدوسه الزمن ويتجاوزه.
 - 11- كذلك الحرص على المقدرات الذاتية للدول والأمم الإسلامية، والرفق بها، وإحداث التقدم والتحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي.
- إن أي تنازع أو حروب بين هذه الأمم والدول ليصب في خانة مصلحة الأعداء، وإن أي فوضى وتخريب في مقدرات هذه الأمم ليؤدي إلى تحطيم قدراتها على المواجهة ويؤخر انتقالها للمراحل التالية في المعركة.. إن الحرص على الدم الإسلامي وعدم إراقة في هذه النزاعات مهما رفعت عليها من أسباب وشعارات لهو عقيدة أساسية عند أصحاب المشروع الإسلامي الرائد، وهي تدرك أن ذلك من خطة الأعداء وضمن إستراتيجيتهم في المواجهة، فهم يصنعون المؤامرات؛ لإنشاء هذه الصراعات لإضعاف مقدرات الأمة، كما تدرك أن ذلك يؤخر أيضاً الوصول إلى الوحدة العملية بين شعوبها.

فلسطين .. الأرض والقضية

- 12- أن تكون هناك خطوات جادة على مستوى الشعوب والكيانات الأهلية والاقتصادية للتواصل والتعاون والتكامل فيما بينها، تمهيداً لخطوات إعادة الوحدة والكيان الدولي للأمة الإسلامية.
- 13- وعلى المستوى الدولي يدرك التيار الإسلامي الخلفية الكاملة لمواقف الدول الأخرى، والخلافات القائمة بين أطرافها، وعقم المؤسسات الدولية، وكيف يتم توجيهها.
- ولهذا فهم لا يبنون خطتهم على هذه الأمور، أو يتعلقون بأوهام ووعود وآمال زائفة، فمصادر القوة للأمة تأتي من داخلها، لكنهم في الوقت نفسه يوظفون هذا الواقع ويستثمرونه لصالح المشروع الإسلامي، ولرفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني.
- 14- لا بد من دعم الإعلام المؤثر الصحيح الخاص بهذه القضية ليصل لكل شعوب الأمة الإسلامية، ولكل شعوب العالم ومؤسساته، وأن نتحرك لمواجهة هذا الإعلام المزيف المنحاز للعدو، وأن نفصح تلك الجرائم، ونعمل على إيقاظ الإنسانية التي ما زالت فيها بقية من حياة رغم الركاب والزيف الذي أحاط بها.
- 15- قطع الطريق على الحلول الاستسلامية، ورفض أي تنازلات وتراجع عن الثوابت والحقوق الفلسطينية، وفضح كل المؤامرات التي تحاك ضدها ومن يشارك فيها ويروج لها..
- إن ما يفرضه البعض من تراجعات وواقع استسلامي للعدو الصهيوني والأمريكي على أرض الواقع نواجهه بالثبات على المبادئ والأصول، وبمنع إعطائه الشرعية التي يطلبونها، مع التعامل السياسي والإعلامي والميداني معها بما يحقق دعم استمرار المقاومة ودعم صمود الشعب الفلسطيني وتحسين أحواله.
- 16- التواصل الفعّال مع أهل فلسطين والاستفادة من كل مستجد في هذا الشأن؛ لتخفيف العبء والضغط عنهم، والاهتمام بأبناء المهجر مناخاً ومعيشة ووعياً، والتواصل معهم بشتى السبل، وكذلك الدعم الاقتصادي لأهل فلسطين داخل الأرض المحتلة حتى يقلّ اعتمادهم على اقتصاد العدو الغاصب.
- 17- التأكيد على منهجية إسلامية نبّه إليها مراراً الإمام الشهيد حسن البنا وكان الشهيد أحمد ياسين يتمسك بها على الدوام، وهي عدم الدخول في مفاوضات مع الأطراف الفلسطينية أو غيرها التي نختلف معها، ولا نرد بأسلوبهم على التشويه والحملات الإعلامية، فقد سمى الإمام الشهيد ذلك "كفاحاً سلبياً" يشغلنا عن مهمتنا الأساسية، وعن العمل الإيجابي، كما أنه يوغر الصدور، ويخرج عن مبدئنا الثابت، وهو: "عدم تجريح الهيئات والأشخاص".
- 18- تشجيع التعاون والتواصل مع كل القوى والأفراد والتيارات التي تعمل على مواجهة العدو والتصدي له مهما اختلفت متطلباتها؛ ما دامت تجمعها الثوابت الأساسية في ظل مبدأ: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".
- 19- مواصلة الحرب النفسية ضد العدو الصهيوني، مع الاستفادة من الطبيعة الشخصية اليهودية في قلقها وخوفها على كل ما يؤثر على حياتها والتأكيد على هزيمته الحالية والمستقبلية.
- وواقع الحال يشير إلى ثلاثة أمور يمكن توظيفها في هذا المجال:
- أ- فشل المشروع الصهيوني في عقد السلام مع الشعوب أو أن تقبل به، فما زالت القضية حية عندها، وما زالت روح المقاومة قائمة متجددة، والعوامل التي ساعدت على ذلك - وعلى رأسها التيار الإسلامي - تزداد قوة يوماً بعد يوم.
- ب- فشل المشروع الصهيوني في القضاء على خندق المقاومة، بل انتقلت بقوة داخل فلسطين، وسببت له إزعاجاً شديداً، وتمكنت من الثبات ضد هجماته المتعددة، وتجاوبت معها الأمة الإسلامية.
- ج- التأثير السلبي على الشعب اليهودي في الدولة الصهيونية من جراء المقاومة الفعالة وتنامي الروح الإسلامية داخل فلسطين كلها، مما كان له أثر سلبي كبير على الروح المعنوية عند الجنود الصهاينة وعند قادتهم.

فلسطين .. الأرض والقضية

- 20- في ظل هذه الثوابت التي تتمسك بها الجماعة، فهي تتعامل أيضاً مع الواقع الميداني بمتغيراته المختلفة وفق الضوابط الشرعية، وما تحمله من موازين وضوابط تخص الحركة والمواقف العملية، فهي تدرك أن المعركة ممتدة وطويلة، وأن الفجوة بين الواقع وهذه الأهداف المرتبطة بتلك الثوابت واسعة وكبيرة، لكن ذلك كله لا يشكل قفزا فوق تلك الثوابت أو تفرغاً لها من محتواها.
- فرق كبير بين التدرج والمرحلية العملية، وبين التنازل المرحلي والتراجع الجزئي، و فرق كبير بين الهدنة بضوابطها الشرعية سواء أطالت أم قصرت وبين الاستسلام والإقرار بشرعية الغاصب وعدم مقاومته.
- و فرق كذلك بين السكوت عن أمر ميداني تفرضه بعض الظروف وبين الإقرار به وإضفاء الشرعية عليه.
- وإن ما يقدمه الأعداء - أو ما يسمونهم بالوسطاء - من حلول ومقترحات في مقابل هدم بعض تلك الثوابت أو التراجع عنها يرفضه أصحاب المشروع الإسلامي، حيث يرفضون ذلك التنازل حتى لو وافق عليه فصيل من الفلسطينيين، وفي نفس الوقت يوظفون الواقع العملي بشأن ذلك إذا تبناه أحد أو فرضه على أرض الواقع بما يخدم القضية ويدعم صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الفعالة.
- أنهم بفضل الله من الثبات والصمود بما يحقق استمرار المسار وسلامة الطريق والحفاظ على الثوابت مهما كانت التضحيات، وهم في الوقت نفسه من الحكمة والمرونة في مواجهة الأحداث والمواقف بما يستوعب المستجدات وينجحون في توظيفها والاستفادة منها.
- وإذا كان هناك من أخطاء - حيث لا يدعي أحد العصمة أو القداسة - فإن ذلك يكون في الوسائل وفي فريعات العمل وليس في الأصول، وتأتي المرجعية والتقويم مع اللجوء لله عز وجل لتجبر ذلك فلا يشكل منعطفاً أو عائقاً حقيقياً.

مخاطر مستجدة

وكيفية مواجهتها:

- ما زال العدو يواصل مشروعه، ويحاول أن يطوره ويدفعه على أرض الواقع، والمُشاهد أنه أحرز بعض التقدم في بعض المحاور، ويعاني من معوقات شديدة تصل إلى مستوى المعوقات الاستراتيجية في محاور أخرى، ونشير هنا إلى بعض هذه النقاط:
- 1- لقد نجح المشروع الصهيوني بالتعاون والدعم مع المشروع الأمريكي في إخضاع حكومات الدول العربية غالباً، والوصول إلى حدّ التوظيف لها في محاولة خداع شعوبها، والاستجابة لمطالب العدو ودعمه في فرض حل فيه التنازلات عن الثوابت بحجة السلام المزعوم.
 - 2- تمكن من عقد اتفاقيات حالية، تعترف له بالشرعية وتساعد على تشكيل طبقة مرتبطة به من أصحاب المصالح ورجال الأعمال.
 - 3- نجح العدو في أن يتواصل معهم على المستوى السياسي ويكون مَنفذاً لهؤلاء الحكام لقضاء المصالح وتبادلها خاصة مع أمريكا.
 - 4- نجح لأول مرة في استمالة فصيل من أهل فلسطين - وإن كان عددهم قليلاً بالنسبة لباقي الشعب - يحاول دعمهم وتثبيت وجودهم؛ لأنهم يقبلون به ويتعاونون معه لفرض مشروعه الصهيوني على أهل فلسطين مقابل مكاسب زائلة.

5- انهيار منظومة الأمن القومي العربي.

- إن معركة فلسطين تشكل قلب الأمن القومي العربي، وهناك خطة من أمريكا والعدو الصهيوني لقلب هذه المعادلة بالمنطقة، محاولةً توظيف أحداث كثيرة تساعدها على تهميش القضية الفلسطينية عند الأنظمة والدول العربية، وإحلال قضايا أخرى في بؤرة الاهتمام؛ ليؤدي ذلك إلى جعل الدولة الصهيونية ضمن معادلة الأمن القومي العربي، وذلك من خلال محاور عدة، منها:
- تصعيد الخلاف الشيعي - السني، وإذكاء الصراع بين الدولة الإيرانية والدول العربية، ودعم النزاعات الأهلية بالمنطقة؛ لتكون إسرائيل بعد ذلك هي القوة التي تعادل الخطر الإيراني، وتكون نقطة الارتكاز القوية وسط دول أنهكتها الصراعات الأهلية والنزاعات فيما بينها، فتصبح بذلك في قلب منظومة الأمن القومي العربي الذي بدأ يستعين بأمريكا ويقبل بتواجدها العسكري - ولو مؤقتاً - في حين أن هذا التواجد لها يدعم من الثقل العسكري والسياسي للكيان الصهيوني.
- من هنا تتضح أهمية وضرورة المقاومة على أرض فلسطين في إنهاء دولة الكيان الصهيوني وأن تسبب لها الوخزات المؤلمة التي تعرقل تفرغها لهذه الخطة، وكذلك دعم مقاومة الوجود الأمريكي الخادم للمشروع الصهيوني - الغربي، بكل وسائل الدعم وبكل صور المقاومة.

فلسطين .. الأرض والقضية

- ومن المهم أيضاً استمرار الحراك الشعبي لإسقاط هذه الاتفاقات الجائرة التي تم عقدها مع الحكام وعدم اليأس من تحقيق ذلك بالوسائل السلمية والنضال الدستوري.
- كذلك يحاول المحور الأمريكي - الصهيوني جرّ بعض القوى المجاورة للمنطقة العربية لدخول معادلة التأثير في أحداث المنطقة، وأن يكون دخولها انحيازاً لمصالح إسرائيل وأمريكا، وأيضاً استخدام تكتلات دولية تخدم مثل هذا الأمر مثل التجمع "الأورومتوسطي"، وبالتالي تتضح أهمية التواصل مع تركيا وشعبها؛ ليكون انحيازها مع المصالح العربية، وأن يكون توجه حكومتها مؤيداً للحق العربي وداعماً له، وإضافة إيجابية لأمن المنطقة ومواجهتها للخطر الصهيوني.
- وكذلك نزع فتيل الصراع مع الدولة الإيرانية وحل المشاكل بالطرق السلمية، وبناء آلية لحسن الجوار وحل الخلافات.
- إن على الشعوب واجباً كبيراً في هذا المجال لإقناع الحكومات وإطفاء الصراعات.
- وكذلك هناك المحور الثقافي والاقتصادي الذي يريد الكيان الصهيوني - وفق مشروع بيريز عام 1990م - أن يمسك من خلاله بمنظومة المصالح الاقتصادية والمؤثرات السياسية بالمنطقة، يدعمه في ذلك مناخ ثقافي وإعلامي مؤثر في المجتمعات؛ لتكون بيده شبكة قوية مؤثرة من العلاقات السياسية والاقتصادية يصعب الخروج عليها أو الابتعاد عنها من دول المنطقة.
- ومن هنا يتضح أهمية المقاطعة الاقتصادية والثقافية لهذا الكيان الغاصب، وإبقاء القضية حية في وجدان الشعوب، واعتماد آلية التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية بدءاً من المستوى الشعبي وكياناته، وارتقاءً إلى المستوى الرسمي والدولي.
- لا بد من تطوير مجتمعاتنا وتنميتها واعتمادها على نفسها إذا كنا جادين في الحفاظ على أمتنا ومكانتها.
- لا بد من فضح مسارات العدو الصهيوني ومراكز إعلامه ومن يرتبط به في تنفيذ خطته تلك.
- وكذلك تشجيع المبادرات التي تحل الخلافات بين كيانات ودول المنطقة العربية حرصاً على مقدرات الأمة ومنعاً لإراقة الدم العربي المسلم بيدنا نحن وفي النهاية يصب ذلك في مصلحة العدو الصهيوني.
- إن الحرص على استقرار دول المنطقة يساعد على التنمية والتقدم الاقتصادي لها، ولا بد لمصر أن تستعيد دورها الرائد والمؤثر في هذا الميدان وفي منع الخلافات أن تصل إلى إراقة الدماء، وأن عليها أن تخرج من دوامة التأثير الأمريكي، وأن تترك أن الأمن القومي العربي هو أمن قومي لمصر لا ينفصل عنه.
- كما يجب إعادة إحياء دور جامعة الدول العربية؛ حيث أصبح ذلك حاجة ملحة في هذه الفترة، وإلى حين أن يتحسن هذا الأمر على النخبة الشعبية وعلماء الأمة أن تسارع لتشكيل تكتلات وكيانات أهلية على مستوى المنطقة تحاول أن تؤدي هذا الدور وتقطع الطريق على الخلافات والنزاعات.

خاتمة:

- إن الناظر للظاهر من الأعمال وبعض أنواع الحراك قد يرى أن حجمه ليس كبيراً أو مؤثراً، لكن هذه النظرة السطحية لا تغوص وراء الأشياء، فكل هذه الأعمال والفعاليات - مهما قلّ شأنها - لها دورها وتأثيرها مع أهمية الاستمرار بها وتطويرها إلى درجات أكبر من التأثير والانتساع. والذي نضعه في الاعتبار هو استمرار وتقدم المشروع الإسلامي ومدى ثباته وقدرته على اجتياز المعوقات، وأن يتكامل العمل على كل المحاور المتعلقة بهذه القضية.
- إن المظاهر الشعبية التي تخرج في مختلف الدول للتعبير عن دعم أهل فلسطين - من مسيرات ومؤتمرات وغيرها - لها تأثيرها العميق على المدى البعيد، فهي تحقق أموراً وترسل رسائل واضحة للأطراف كلها:-
- 1- لأهل فلسطين الصامدين، أننا معهم ولا يمكن أن ننساهم ونشاركهم معركتهم وصمودهم، وهذا الدعم المعنوي هام جداً ومؤثر فيهم.
 - 2- رسالة للعدو الغاصب أن الأمة لن تسكت، وأن فيها من يواصل جهاده ضد مشروعهم وأهدافهم، وأن ما يفعلونه من تطبيع مع الحكومات التي استسلمت لهم لن ينفعهم أو يقدم سلاماً لهم.
 - 3- رسالة إلى الدول التي تدعم الكيان الصهيوني وعلى رأسها أمريكا؛ أن الأمة الإسلامية ليست غافلة عن قضيتها الأساسية، وأنها ستستمر في الدفاع عنها، وأنها على بقطة مما يحكيون من مؤامرات.

فلسطين .. الأرض والقضية

4- رسالة إلى أبناء الأمة الإسلامية وأجيالها أن القضية ما زالت حية، وأن على الجميع أن يتحرك لها ضمن الوسائل التي تحاول عرقلة وإيقاف المخططات المعادية، أو على الأقل إبطاء مشروعاتهم، مع استخدام تلك الوسائل وغيرها من وسائل الضغط لدفع حكومات الدول لاتخاذ موقف بهذا الشأن.

- إن الأمة حتى اليوم لمّا تدخل معركتها الحاسمة مع هذا العدو، وإن ذلك لآت بإذن الله. والمشروع الإسلامي يعمل على إعداد هذه الأمة الإعداد الصحيح المتكامل ويواصل إضعاف العدو وإنهاكه وإنزال الرعب لدى قادته وجماهيره؛ تمهيداً للوقت الذي يأتي فيه الحسم، فالعدو دولة ولا يمكن أن يهدمها إلا دولة قوية متمسكة بإسلامها. إن المعركة حالياً معركة استراتيجيات وصراع إرادات. وإن المراقب ليلمس مدى التقدم والكفاءة التي تزداد يوماً بعد يوم، ففي فترة زمنية بسيطة إذ بالمقاومة الشعبية داخل فلسطين تتطور من الحجر إلى هذه الكفاءة العسكرية التي تتصدى لجبروت العدو وجيوشه. ولقد رأينا كيف أن صواريخاً مصنوعة يدوياً تدوي على مدن الصهاينة، فيحدث الهلع والانهيار النفسي للمئات من اليهود، فتمتلئ بهم المستشفيات، في حين على الجانب المقابل يصمد أهل غزة لقصف متواصل من الطائرات والصواريخ شهراً كاملاً متواصل، فنجد الصمود والثبات من الأطفال والكبار، أليس هذا من مبشرات النصر لقضية فلسطين والهزيمة للعدو؟ وعندما نجد كل هذا الرعب عند الجندي الصهيوني وهو مدجج بكل أنواع الأسلحة أمام المقاتل الفلسطيني البطل في محاولتهم الفاشلة لاقتحام غزة، أليست هذه هي الهزيمة قد بدأت داخل قلوبهم والتي ستستمر حتى تتحقق مظاهرها العملية في الميدان؟ إن مبشرات النصر قائمة نستمدّها من عقيدتنا وإيماننا، ومن وعد الله لنا، ومن الواقع العملي للمقاومة، ومن خبرتنا بدورة التاريخ وسنن الكون، وإذا كان بعض الأفراد محبطين يائسين فلأنهم غفلوا عن هذه الأصول، ولأنهم تأثروا بحملة الأعداء وزيف إعلامهم. وختاماً نقول:

إننا نتحدث في هذا الشأن عن محاور عامة، أما خطط المشروع وتفاصيل عمله وتكتيكاته فلها مكانها وأهلها، وتكون على أرض الواقع وفي ميدان المعركة، وهدف هذه الصفحات هو المساهمة في نشر الوعي، وفي رفع الواقع، وبيان حجم التحدي، ورفع الهمة، وعدم اليأس، والدعوة للعمل الجاد والله يهدي إلى سواء السبيل.

مراجع الدراسة

- 1 - سلسلة مقالات للدكتور محمد عبد الرحمن عضو مكتب إرشاد الجماعة
- 2 - دراسة الدكتور غازي التوبة عن قضية فلسطين والتأصيلات المختلفة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

والله أكبر والله الحمد